13 me Année No. 607

Lundi - 19 - 2 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإداره

العـــدد ٦٠٧ « القاهرة فى يوم الإثنين ٦ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ — الموافق ١٩ فبراير سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الرباط المقـــدس

الأستاذ عباس محمود العقاد

الرباط المقدس هو اسم رواية جديدة من قلم صديقنا الكاتب الفنى الموهوب الأستاذ توفيق الحكيم -

والرباط المقدس هو رباط الزوجية

والتقديس يقترن فى الذهن بالتحريم ، والتحريم يقترن فى الذهن بالاغراء ، وهذا هو المعنى الذى فصله الأستاذ الحكيم فى هذه الرواية أجمل تفصيل ، وانتقل به خطوة خطوة بل همسة همسة من الوفاء إلى الاباحة فانساق معه القارىء فى رحلة نفسية طبيعية لاجفوة فيها ، لأنه لم يسه فيها عن لمحة واحدة من اللمحات التى تتحول بها النفس من شعور إلى شعور ومن عزم إلى عزم ومن عمل إلى عمل ، فاذا هى بدايات تنتهى إلى غاية بعيدة لمن ينظر إلى الطرفين الأقصيين ، ولكنها لاتلوح للقارىء المتتبع إلا بداية بعد بداية لا يفرقهما قيد شعرة من خطرات الضمير .

وخلاصة الرواية أن فتاة تزوجت رجلا يكبرها ولكنه يناسبها فى عمرها ، وكان الرجل من قراء الكتب وعشاق الثقافة ، فأحب أن تشاركه زوجته فى مسراته الفكرية ، واحبت هى أن ترضيه فقصدت إلى كاتب معروف — راهب المفكر — لتسترشده فى تربية ذوق القراءة والأدب عندها ، وشعر زوجها بأثر هذه الزيارة — وإن لم يعلم بها — فذهب إلى راهب الفكر أيضاً ليشكر له إقبال زوجته على قراءة كتبه ومشاركته فى متعة فكره ، ثم انقطع مابين راهب الفكر وبين الزوجين حتى خطر لراهب الفكر يوما أن يعزل الناس فى بعض الفنادق الخلوية فاذا به يلتقى الزوج مع ضابط من أقربائه وهما قلقان مضطربان ، ثم يعلم جلية الأمر فاذا بالزوج قد عثر فى بيته على كراسة حمراء تنطوى على مفكرات خاصة كتبتها زوجه واعترفت فيها بعلاقة غرامية بينها وبين ممثل من ممثلى أدوار الغرام على اللوحة البيضاء ، وأشارت فيها إلى غوايات فتاة أخرى هى زوجة ذلك الضابط القريب . فأخذ الضابط القريب يشك فى ذريته من تلك الفتاة ويستعيد حوادثها التى كانت فى أوانها موضع ريبة لايفهمها . ثم توسط راهب الفكر بين الزوجين فأخفقت الوساطة وأوشك الراهب أن يقع فى الفتنة لولا دقات جرس التليفون ، ثم افترق الزوجان وضاقت الدنيا بالضابط فأطلق النار على نفسه ، وثاب الراهب إلى صومعته كما كان .

هذا مجمل سريع للقصة لا يغنى شيئاً عن تفصيلها ، لأن هذا التفصيل هو المقصود وليست الحكاية لذاتها ، وفى هذا التفصيل تتجلى قدرة الكاتب الفنان على تصوير لفتات النفس ووساوس الضمير والانتقال بها من عصمة الوفاء إلى إلمحة الخيانة

فى خطوات قصار لايشعر بها المتتبع لها إلا وقد شارفت نهايتها القصوى .

وأقوى مايكون هذا التسلسل فى ضمير بطلة الرواية وفى ضمير راهب الفكر نفسه ، ثم فى ضمير الرجلين المتزوجين .

فالزوجة ـ بطلة الرواية ـ مثل صادق للفتاة المصرية التى تنعم بدفء الزوجية فلا يستقر لها قرار أو تحترق بالنار ، لانها تلمح وهج النار حولها فى كل مكان فلا تصبر على النظر إليها والدفء بها دون الوقوع فيها .

وراهب الفكر — ولعله مؤلف الرواية — مثل صادق للرجل الذى يعيش بين الصومعة والحياة فيأخذ من الحياة للصومعة ويأخذ من الصومعة للحياة ، ولكنه يجفل من هذه كلما حرفته عن تلك ، ولا يرى فى إحداهما غنى عن الأخرى .

وأصوب مايقال فى شرح هاتين النفسين أنهما دراسة فنية تحليلية من الطراز الأعلى ، ولو لم تكن فى القصة إلا هذه الدراسة لكفى بها مادة حية وزادا شهيا لمن يولع بدراسات الفن والتحليل .

أما وضع القصة فهو مع تشويقه واستطراده تقل فيه الروابط الطبيعية التى تمسك أجزاءها وتحل فى محلها روابط من عمل التأليف تأتى بها المصادفة ولايستلزمها السياق .

مثال ذلك أن الفتاة — بطلة الرواية — تقصد إلى المؤلف لأنها مغلقة النفس من ناحية الأدب والتفكير ، قد عيت بطبعها وعىّ بها زوجها فى رياضتها على القراءة فضلا عن الكتابة .

ولكننا نستمع إلى حوارها مع راهب الفكر فاذا هى تساجله فكرة بفكرة وفطنة بفطنة وبراعة ببراعة . فتقول له مثلا إذا تمنع من رؤيتها فى ملعب التنيس : « ... يجب أن تهبط إلى ملعبى لترتفع بى . هكذا يفعل الأنبياء دائما . يهبطون إلى الناس حتى يستطيعوا بعد ذلك أن يصعدوا بهم إلى السماء . ولم يحدث قط غير ذلك . ولا تنتظر أن أصعد أنا إليك توا بغير أن تهبط أنت إلى وتأخذ بيدى ... »

ثم نقرأ كلامها فى الكراسة الحمراء فاذا هو كلام أديب وصافة لا تفوته خلجة من خلجات الوهم ولا لفتة من لفتات الملاحظة ، ويبدو عليها أنها أستاذة فى هذا الفن وليست بالتلميذة الناشئة التى تعثر فيما تحس وفيما تقول .

فمناسبة اللقاء هنا بينها وبين راهب الفكر ضعيفة ، وأضعف منها سبب التعارف بينه وبين زوجها ، لأنه ذهب إليه يشكره على اهتمام زوجته بقراءة كتبه ، ولم تكن بينهما رابطة تدعوها إلى اللقاء غير هذه الرابطة ، ومنها استحكمت الصلة بينهما حتى أطلعه الزوج فجأة على سر بيته وبيوت أقربائه .

وفى الرواية صفحات طوال عن النساء اللواتى يحسن مثلا فى التاريخ للزوجات الوفيات . وكل مناسبتها فى سلب الرواية أن راهب الفكر كتبها إلى طيف الفتاة بعد لقائها واشتغاله بأمرها وهو ينوى أن يطويها عنها ولا يطلعها عليها . وقليلا مايخطر على البال المشغول بامرأة فى عصمة رجل آخر أن يجعل أحلامه كلها بقديسات الوفاء الزوجى . وهو يكتبها لنفسه ولا يقصد بها عظة الفتاة وتعليمها .

وتشيع فى الرواية مناسبات المواقف ومداخل الشخصيات من هذا القبيل ، ولكنها ملاحظة على الشكل لاتنفذ الى جوهر الموضوع ، ويبقى بعد ذلك أن صفحات الرواية جميعها مادة قراءة فنية تحليلية قليلة النظير فى أدبنا الحديث ، بل فى كل أدب حديث ، وهى مما يعرض للمقارنة بينه وبين ثمرات الأقلام التى تجود بها قرائح الممتازين من أدباء الغربيين فى هذا الجيل .

ويلحق بهذه الملاحظة الشكلية هفوة هنا وهفوة هناك من هفوات اللغة المطروقة كساق فى موضع سوق ونسوى فى موضع نشوة وتعدية الأفعال بغير حروفها أو فى غير مواضعها ، وهى جد قليلة فى أكثر من ثلثمائة صفحة من الحرف الدقيق .

ولكن الملاحظة التى تدخل فى جوهر الموضوع هى الملاحظة التى تدور على حدود الوصف « المكشوف » فى الروايات والكتب عامة .

فالاستاذ توفيق الحكيم من أغنى الكتاب القاصين عن اثارة التشويق والتطلع بالافاضة فى تصوير الغرائز التى لا حاجة الى تصويرها ، لأنه يملك زمام التشويق بوصفه لأثره خواطر الفكر وأرفع سبحات الروح ، فلا حاجة به الى تنبيه الغرائز فى زمن شكواه الكبرى فرط التنبه فى غرائز أهله .

ولهذا وددنا لو خلت الرواية من صفحتين أو ثلاث لايضطرنا السياق إلى إثباتها ، وإن ذلك لخليق بالكاتب المتحرج الذى وصل الى الفتنة فدق للنجاة منها جرس التلفون ... لكيلا يسمح لغريزته أن تنطلق الى مداها .

على أن صديقنا الأستاذ كما أسلفنا متردد بين عتبة الصومعة

أبو العلاء المعرى

التفاؤل والأمرية عند الشيخ

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ٤ —

الأمل :

لى أمـــل ، فرقانه محكم أقرأه غضـــاً كما أنزلا (١)

أجرى من الخيل آمال أصرفها لها بحثّى تقريب وإخباب (٢)

لا تقنطن أيها الإنسان ، فإن بلغتك(٣) عند الله الكريم ، والرزق يطلبك وأنت تبصر الأحلام . لو أن للرزق لساناً هتف بمن رقد ، أو يدا لجذب المضطجع باليد ، أو قدماً لوطىء على الجسد ، لا يزال الرزق مرتقا على الهامة ترنيق الطير الظماء(٤) على الماء المطمع(٥) .

(١) فى حديث : الأمل رحمة لأمتي ، لولا الأمل ما أرضعت أم ولداً ، ولا غرس غارس شجرا . ومن أقوالهم : أعظم المصائب انقطاع الرجاء ، قتل القنوط صاحبه . وللحجاج : أمس أجل ، واليوم عمل ، وغدا أمل .

(٢) التقريب والخبب : ضربان من سير الفرس فى الأصل .

(٣) البلغة : ما يتبلغ به من العيش ولا فضل فيه ، وتبلغ بكذا اكتفى به .

(٤) رنق الطائر خفق بجناحيه في الهواء ورفرف ولم يطر . =

وعتبة الحياة ، ولم يزل متردداً بين العتبتين من الصفحة الأولى الى الصفحة الأخيرة .

فى هذه الصفحة الأخيرة يقول عن راهب الفكر : « أما هو فقد رجع إلى عاداته السابقة ... يفض رسائل قرائه فى الصباح باسم الثغر هادىء الأعصاب . وإذا هو بعد زمن قليل قد وقعت فى يده رسالة بين البريد ارتجف لها : إنها من امرأة تسأله أن يحدد موعداً للقائها لأنها تريد أن تحادثه فى شأن من شئون الأدب والفكر ! . فصاح فى نفسه : لا . لا . كفى ... ألم يعرفهن ؟ .. وضغطت أصابعه على الرسالة يريد أن يمزقها ... »

هكذا كتب الأستاذ توفيق فى الأسطر الأخيرة من الصفحة الأخيرة عدا سطرين اثنين .

ولو ختم الرواية بعد ماتقدم لأحجم الأدباء عن سؤاله وعلمن أن التمزيق العاجل نصيب تلك الرسائل التى يكتبنها اليه ...

وهو يريد ولا يريد .

وهو يتردد بين الصومعة والحياة

ولهذا اتكل على الله وختم الرواية معتصما بالشجاعة فقال ان « الشجاعة ليست فى تجنب مزالق الجسد وتحاشى مواطن الزلل . بل فى مواجهتها بمصباح الحقائق ونور المثل العليا »

ومصباح الحقائق إذن هو الكفيل بانتظام البريد فى مجراه ، وليكتب اذن من يكتب فان راهب الفكر شجاع !

عباس محمود العقاد

١١ ٥ ٢٤

سم الضلال إذا عاينته قمرا إن الاهلة عن وشاك لأقمار

وقد يخص الدينار فى حنفوانه ويذبه من بعد النهى فيسود

أحسنت الخير لست تشعر ؟ بلى . إن للخير ثمرة لذت فى المطعم ، وتصوعت لمن تسم ، وحسنت فى المنظر والتوسم ، وجاوزت الحد فى العظم ، فما ظنك بثمرة هذه صفتها ؟ !

هوِّن عليك :

الأمر أيسر مما أنت مضمره فاطرح أذاك وهون كل ماصمما

إذا تفكرت فكراً لا يمازجه فساد عقل صحيح هانَ ما صمما

العلم كالقفل ، إن ألفيته عسرا فحاوله ثم عاوده لينفتحا

دع ما ضر وصعب ، إلى ما نفع وهان . واترك المضلة إلى الرشدة فإن طرقات الخير كثير .

لا طيرة :

الأيام كلها لله ، وربما ساءتك عروبة(١) ، وسرك الخميس . وإذا نزل بك نازل فى يوم فلا تمقته لذاته .

بركات الله ورحمته :

يبعث الله فى نهار وليل بركات من رزقه مدروره(٢)

= فى الأساس : هو ظمآن وهي ظمأي وهم ومن ظماء .

(٥) المطمع الذي أطمعها في النزول عليه (أبو العلاء) .

(١) الجمعة ، فى اللغة : هو اسم قديم لها وكأنه ليس بعربي ، يقال : يوم عروبة والعروبة ، والأفصح ألا يدخلها الألف واللام .

(٢) « مدرورة » كثيرة ، فى الأساس : ومن المجاز : درت الدنيا على أهلها إذا كثر خيرها .

غشت رحمة الله كل الحيوان ، وتكفل بالرزق لكل المتغذيات .

فرح المرء بالكلأ[١] ، وحق لهم أن يبتهجوا برزق الله الكريم . جاء اللبأ[٢] ، وذهب الوبأ[٣] ، فسبحان الله العظيم ! يا رخص ، ثب لمتراق الكثب[٤] على الكثيب[٥] وعلى الله رزق العالمين .

السماء تدق[٦] ، والبلاد تورق ، والله الموفق ، والرزق بكرمه متدفق .

والشمس تغمر أهل الأرض مصلحة
ربت جسوماً ، وفيها للعيون سنا

طبعت لك الشمس ما يفنى أخادعة
عن أن يكون له فى الأرض طاهونا

الإقدام ، الجادة :

وإنى رأيت الصعب يركب دائماً
من الناس من لم يركب الغرض الصعبا

والعيش جسر ، نال من هو جاسر
أو كاد فيه وخاب من لم يجسر

ويحمد الصابر الموفق على غرض لا عاجز يعرى التقصير معقود

ينبغى للمسبوق ألا يؤثر بصبوح ولا غبوق[٧] ، فليستحى انتأخر أن يفتخر .

الخيف من رأى السخيف ، فاجر على مسطرتك فى تقوى الله ؛ والخيل بفوارسها متمطرات[٨] .

إنما نحن فى أحلام نائم لا أحلام ذوى العزائم ، وقد يرى الراقد نفسه مع الفراقد ، فإذا استيقظ رآها بالجدد[١] .

وكن فى كل نائبة جريئا
تصب فى الرأى إن خطىء الهدان[٢]

وسائل من تمطس فى التوقى لأية علة مات الجبان[٣]

اشجُع فإن أقدار الله لا تعجل إلى الشجاع .

صُل على الظالم بالمصل[٤] .

الدنيا ، الحياة :

خُلقتُ من الدنيا وعشت كأهلها
أجد كما جدوا ، وألهو كما لهوا

أمور دنياك سطر خطه قدر وحبها فى السجايا أول السطر[٥]

ولا تظهرن الزهد فيها فكلما شهيد بأن القلب يضمر عشقها

نفسى بها ونفوس القوم ملهجة ونحن نخبر أنا لا نبالها[٦]

أمرتنى بسلو عن خوادعها فانظر هل أنت مع السالين سالها

ولا ترى الدهر إلا من يهيم بها طبعاً ، ولكنه باللفظ قالها

فترومن هذى الحياة[٧] لكى تموت النفس ريا

الموت ، كرهه :

والنفس آلفة الحياة فدمعها يجرى لذكر فراقها منهلُّه !

ولم أرد المنية باختيارى
ولكن أوشاك الفتيان سعيى[٧]

ولو خيرت لم أترك محلى فأسكن فى مضيق بعد رحب !

فليت الفتى كالبدر جدد عمره يعود هلالا كلما فنى الشهر !

(١) الكلأ : العشب أكلاء .
(٢) اللبأ : اللبن ، أوله .
(٣) بالقصر والمد .
(٤) الكثبة : الطائفة من طعام أو غيره ، القليل من اللبن .
(٥) الكثيب : التل من الرمل .
(٦) تدق : تمطر . وفى الأساس : ودقت السماء والمطر ودق ، التاج : الودق : المطر كله شديده وهينه .
(٧) الصبوح كل ما أكل وشرب غدوة وهو خلاف الغبوق : شرب العشى (اللسان) .
(٨) « الخيف : جمع خيفة ، (المطرة) العادة (متمطرات) جمع متمطرة وهى المجتهدة فى العدو » والتفسير للشيخ .

(١) « الجدد » : الأرض .
(٢) « الهدان » الضعيف الجبان الذى لا يهتدى لأموره . « شرح السقط » والهدان الأحمق الثقيل .
(٣) تمطس فى كل شىء إذا أدق فيه النظر « الأساس » .
(٤) « المصل » — بضم الميم والصاد ، وضم الميم وفتح الصاد — السيف . فى « التاج » : قال ابن سيده : لا نعرف فى الكلام اسماً على مفعل ومفعل إلا هذا وقولهم منخل ومنخل .
(٥) فى الصباح : وفتح الطاء فى لغة بنى عجل فيجمع على أسطار ، ويسكن فى لغة الجمهور فيجمع على أسطر وسطور .
(٦) ملهجة : مولعة .
(٧) أفنيان : الليل والنهار .

أحسن بدنيا القوم لو أن الفتى لا يُقتضى ، وأديمه لا يحلم[١] !
تضاعف همى أن أتتنى منيتى
ولم تقض حاجى بالمطايا الرواقص[٢] !
فواها لأشباح لكم غير أنها تبدل من أوطانها برموس !
أنبأنا اللبيب بلقيا الردى فالغوث من صحة ذاك النبأ !!!

موت البطولة :

هناك ضرب من الموت لا يكره ولا يذم بل يحب ويعظم ، وهو موت البطولة فى الوغى . وقد حرض الشيخ عليه ، والحرب شرعة العربى :

إذا المـــرء لم يغش الكريهة أوشكت
حبال الهوينى بالفتى أن تقطعا[٣]

والجهاد من دين المسلم :

« كُتِبَ عليكم القتال وهو كرهٌ لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شرٌّ لكم ، والله يعلم ، وأنتم لا تعلمون » .

« وجاهدوا فى الله حقَّ جهاده » .

« وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون » .

« انفروا خفافا وثقالا[٤] ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » .

وإذا كان الحال كما قال الشيخ .

وما سلَّ المهند للتوقى كسل المشرفية للتشفى

فالموت يومئذ خير من ألف حياة ، خير من الخلود .

من السعد فى دنياك أن يهلك الفتى
بهيجاء يغشى أهلُها الطعن والضربا
فإن قبيحا بالمؤيد ضجعة على فرشه يشكو إلى النفر الكربا

كلٌّ يحاذر حتفا وليس يعدم شربه
ويتقى الصارم العضب ، أن يباشر غربه

والنزع فوق فراش أشد من ألف ضربه
لقد ركزوا الأرماح غير حميدة فبعدا لخيل فى الوغى لم تطارد !
وما يجمع الأشتات إلا مهذب من القوم يحمى باردا فوق بارد[١]
لضربة فارس فى يوم حرب تطير الروح منك مع الفراش[٢]
أخفُّ عليك من سقم طويل وموت بعد ذاك على الفراش
ألا تهفو للحرب وتدعو للوغى شومك[٣] ؟
وقد علمتْ وغيرى عن مشاهدة
أن العلا إلفُ قوم فى الوغى لبس[٤]
وجدتك أعطيت الشجاعة حقها
غداة لقيت الموت غير هيوب
من السعادة أن تموت القوم كراما

للحديد العلا على سائر الجوهر[٥] ذلُّ العدى وعزُّ الضيوف
فوارسُ خيلكم تُعطى مناها إذا دمّى نواجذها الشكيم[٦]
وفى بيض السيوف بياض عيش
بذلك — فاعلموا — نطق الحكيم

القوة :

يخضع الظبى الأخضع[٦] ، وينتصر الليث المهتصر .

المال ، تحبره :

والمال خِدنُ النفس غيرَ مدافع والفقر موت جاء بالإهمال
أو ما ترى حكم النجوم مصوراً بيت الحياة يليه بيت المال
ما اليسر كالعُدم فى الأحكام بل شحطت
حال المياسير عن حال المحاويج

---

(١) يقتضى : يطالب كأن الحياة دين عنده فاذا جاء الأجل اقتضاه المقتضى .

(٢) رقص البعير يرقص رقصاً — بحرك القاف — إذا أسرع فى سيره . ولا يقال يرقص إلا للاعب والابل وما سوى ذلك فانه يقال : يقفز وينقز . «اللسان» .

(٣) الكلمة العربى فى مفضلية .

(٤) خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبابا وشيوخا أو صحاحا ومراضا «الكشاف» القصد بالآية الحث على النفر على كل حال تعسب أو تسهل «مفردات الراغب» .

(١) «البارد» السيف ، البوارد السيوف التواتل «اللسان» . يحمى السيف فوق الدرع أو السيف فوق السيف .

(٢) فراش الرأس : عظام رقاق تلى القحف . والقحف العظم الذى فوق الدماغ .

(٣) الأشوس : الجرىء على القتال الشديد «اللسان» .

(٤) رجل أليس من رجال ليس وهو الذى لا يبالى هولا ، ولا يروعه شىء «الأساس» .

(٥) الشكيمة فى اللجام الحديدة المعترضة فى فم الفرس التى فيها القاس ، وفأس اللجام الحديدة القائمة فى الحنك .

(٦) الأخضع الذى فى عنقه خضوع خلقة «أبو العلاء» . رجل أخضع : راض بالذل «الأساس»

انفقْ لترزق فالثراء الظفر ، إنْ يُترك يَشن ويعود حين يُقلم

ينبغي لمن يرث ، أن يَحترث ، وإلا فني التراث

هل من سخره لقضاء الحاج

أعتمدُ على ذي وجهين ، ما عُرف قط بالمَين . لو كان رجلاً لكان ناصح الجيب ... سبّح ربه منذ خُلق ، إذا انطلق به فهو منطلق ، ومتى بُعث في المآرب قضاها ، والله بلطفه أمضاها . ثم يُحبس ولا ذنب له . سجن فهو صول الدهر مستريح ، لا تلح عليه الشمس ولا الريح . لا يأكل ولا يشرب ... له منزل مادخله الهم ... إذا غاب الحافظ عنه فله الحتم ، وليس ذلك من القضاء الحتم ... خُص بالعمر الطويل ، وتناسخه جيل بعد جيل ، فظهر في الأكاليل ، والأسورة والخلاخيل ، والكأس الدائرة بشراب الكرم والنخيل . ما شاب ولا هرم ، ولا درَم[1] للكبر ولا درِم[2] . ملكه قوم فدفنوه ، فتطاولت في الأرض سنوه ، ثم ظهر ما نُسي اسمه ، ولا تغير جسمه ... به صفرة من غير الضرب ، ظهر بها في الشرق والغرب ... تلقاه معلماً بالتوحيد ، وليس بالعالم ولا البليد ، ولكن الله أنطق بعظمته كل جماد ... جلّ من سخره لقضاء الحاج[3] .

العمل

تروم رزقاً بان سموّك متكلا وأدين الناس من يسعى ويحترف

لا تقومنّ في المساجد ترجو بها الزلف
معملاً بسط راحتيك إلى نائل يُلف
وُرمِ الرزق في البلاد فإن رمتَه ازدلف

يعرى الفقير والدينار كسوته وفي صوانك ما إعداده خرف

أملكُ من شداد بن عاد ساعة تفتقر الأملاك رجل اشترى كرّا[1] ، وقصد منابت الشجر محتطباً ، فرجع بالعَضد[2] متكسباً ، فأحل في المكسب وأطاب

لا يصبرنّ فقير تحت فاقته
إن البارت جانبها البارت[3]

من في اللجة يغبط السائر على المحجة ، والمسافر يغبط المقيم ، والغنيمةُ مع الظاعنين

العمل — وإن قلّ — يستكثر إذا اتصل ودام

من سهر في الليالي السود فأحر به أن يسود

بُلغ أمل بعمل ، وأهلُ التقصير بلا عون ولا نصير

أجدْ عملك وجِدّ فيه

طِدْ بناءك على أس

الثمر ، النبات

فإذا ملكت الأرض فاحم ترابها من غرسه شجراً بغير ثمار

إذا رملة لم تجيء بالنبات فقد جهلت إن سقتها السوانى[4]

(١) الكر : الحمل ج كرور.

(٢) العضد : ما عضد من الشجر ، وعضده قطعه بالمعضد وهو كل ما عضد به الشجر « اللسان » .

(٣) البارت : الفلوات . جانبها : قطعها . البارت : المساكين والمحتاجون ، جمع سبروت وسبرت . وفي « نقائض جرير والأخطل » لأبي تمام : صعلك الرجل وسبرت إذا افتقر ، وفي « التاج » سبرت الرجل قنع وتمكن .

(٤) السانية : الساقية ، عنى بالسوانى السحب .

(١) درم من الدرمان وهو تقارب الخطو.

(٢) درم من الدرم وهو سقوط الأسنان ، ومن ذلك قيل : كعب أدرم ، والمعنى أن نقشه لم يزل وخشونته لم تملس «أبو العلاء» .

(٣) ورد هذا الوصف البارع «في الفصول والغايات» ص ٢٨٨، ٢٨٩ ومن قول الشيخ في هذا الكتاب ص ٧٧ : « في الحق من الذهب ثلاث خلال : حسنه ، ونقاؤه ، وبقاؤه على الأبد بغير تغيير» وكتاب «الفصول والغايات» من أعظم مؤلفات الشيخ وقد أفضل على العربية بنشر الجزء الأول منه العلامة الأستاذ محمود حسن زناتي محققاً مشروحاً وكان العلامة الأستاذ الكبير صاحب الرسالة هو الذي هدى الأستاذ زناتي إلى هذا الكنز .

وزارة الدفاع الوطني

تقبل العطاءات لغاية الساعة ١٢ ظهر يوم خمسة مارس سنة ١٩٤٥ عن توريد زجاج نصف دبل وانجليزي لمصلحة الأشغال العسكرية — والشروط بإدارة المشتريات والعقود بالوزارة وثمن النسخة منها ٢٥٠ مليما . ٣١٨٥

فى عيـــد المعرى (*)

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ٢ —

ويوم الاثنين ثامن شوال سنة ١٣٦٣ من الهجرة ، اجتمعت وفود البلاد العربية فى جامعة دمشق ، واحتشد الناس ليشهدوا افتتاح المهرجان . وجلس الوفود على منصة عالية فى صدر المجلس ومعهم رئيس المجمع العلمى العربى وأعضاؤه — وهم الداعون إلى الاحتفال والقائمون عليه — وحانت ساعة الافتتاح فأقبل رئيس الجمهورية وجلس وسط الصف الأول من الوفود ومعه بعض الوزراء وكبراء الدولة .

أمة تمجد شاعراً من شعرائها ، وقد احتفلت لهذا واجتمعت له ، وشهد الاجتماع رئيس الدولة . ذلكم أمر أمم ، وخطب يسير لو وقف الفكر عند هذا المظهر المرئى ، وهذا الجمع الحاضر ؛ ولكن وراء هذا المرأى معان ومعان ؛ هذه الأمة العربية المجيدة قد عرفت نفسها ، وتبينت وحدتها ، فبعثت وفودها إلى دمشق لتجتمع على تمجيد شاعر من شعرائها . فالتقت فيها وجوه متعارفة لا تتناكر ، وقلوب متعاونة لا تتنافر ، وتحدثت عن الماضى والحاضر ، وطمحت إلى الآتى بآمال مجتمعة ، وعزائم مجمعة ، وقد اجتمعت فى الساعة نفسها وفودها فى الاسكندرية لتشرع لوحدتها شرعة ، وتخط لها منهاجا ، وتتحالف على الخطوب ، وتعد للحوادث ، وتلقى الزمان برأى جميع ، وأمر جامع . ولم يوافق إجتماع دمشق إجتماع الاسكندرية إلا إيذانا بيقظة هذه الأمة ، وطلبها المجد والكمال فى كل نواحيها ، وسلوكها كل سبيل إلى مقاصدها . وما رئيس الجمهورية هذا الجالس فى حفل المعرى إلا ربيب الثورات وغذى المحن فما نال مكان الرياسة من الجمهورية السورية إلا بأن العرب الثائرين تولوا أمورهم ، ونالوا مكانهم فى بلادهم ، وأن الثورة ظفرت ، والآمال تحققت ، وبدت بشائر الفجر الصادق للمستقبل الكريم . ولقد كان من مقاصدى يوم أزمعت شهود مهرجان المعرى أن أرى شكرى القوتلى وصحبه يصرفون الأمور فى حاضرة بنى أمية ، وأن أسعد نفسى برؤية ما تمنيت ، وشهود ما أملت . لقد أديل من الضعف للقوة ، ومن الذل للعزة ، ومن الفرقة للاجتماع . ولم يبق إلا أن تعتزم الأمة المجيدة وتقسم لتبلغن غايتها ، ولتنالن مُنيتها . وما أقسمت أمة وعزمت إلا أبرتها الحادثات ، وأمضى يمينها الزمان .

قلت فى نفسى ، والسرور يملؤها : قد احتفلنا من قبل بذكرى أبى الطيب المتنبىء فتجاوبت بلاد العرب بتمجيد الشاعر الكبير ما بين هضبة إيران وبحر الظلمات ، وكتبت مقالات وألفت كتب تناولت سيرته وأدبه . وتبين من يحتاج إلى بيان أن فى هذه الأقطار الواسعة أمةً واحدة ، تنطق بلسان واحد ، وتروى عن تاريخ واحد ، وتتأهب لتأليف تاريخ هو على ضخامته واختلاف فصوله ، كتاب واحد .

ثم يدعى إلى الاحتفال بذكرى المعرى والحرب دائرة ، والخطوب محيطة ، والأسباب بين البلاد متقطعة فتصيب الدعوة هوى من أمة نزاعة إلى إحياء مجدها وحفظ تاريخها القديم وتسطير تاريخ جديد أعظم وأروع . وكانت دمشق مكان الجمعين وما أجمل أن يحيا أدب العرب ، ويذكر مجد العرب فى مدينة العرب : دمشق الخالدة .

وقد اجتمعت الوفود على ذكر الشاعر الفيلسوف الحزين المتشائم ، وهى فرحة مستبشرة ، ترى تباشير الصباح فى أعقاب الظلام ، وتكاد ترى أشعة الشمس من وراء الأفق ، ويعرف بعضهم فى وجوه بعض بسمة الأمل ونضرة الرجاء ، وقوة العزم وأهبة الجهاد الذى لا ينتهى دون الظفر .

احتفلنا بذكرى أبى العلاء يومين فى دمشق تلقى المحاضرات فى العشى ، وللزيارات والمآدب سائر النهار وزلف من الليل .

ويوم الاربعاء عاشر شوال والساعة تسع ونصف من الصباح فصلت الوفود ومن معها من أدباء الشام وعلمائه تسير صوب الشمال . فتوالت السيارات على الطريق تخترق الغوطة الفيحاء

(*) انظر العدد ٦٥٩ من الرسالة .

الغناء وليست الغوطة إحدى جنات الدنيا ، فى حاجة إلى تعريف أو وصف ، وامتد بنا السير فيها زهاء نصف ساعة . ومررنا بقرية حَرَسْتا من قراها فذكرنا الإمام محمد بن الحسن الشيبانى الفقيه صاحب الإمام أبى حنيفة . ويقال إنه ولد بهذه القرية . وقال ياقوت فى معجم البلدان فى صفتها : « قرية كبيرة عامرة فى وسط بساتين دمشق ، على طريق حمص بينها وبين دمشق أكثر من فرسخ . » وعد يقوت جماعة من العلماء المنسوبين اليها . ثم قال : « وحَرَسْتا المنظرة من قرى دمشق أيضا بالغوطة فى شرقيها » . وجُزنا الغوطة إلى أرض واسعة فيها كروم ومررنا بالثنايا . ويقال إن هناك ثنيّة العُقاب التى ركز عليها خالد بن الوليد رضى الله عنه راية العقاب حينما اجتاز بادية الشام وفجىء الروم من حيث أمنوا . وبعد قليل رأينا طريق بغداد يتفرع من طريقنا . وحسب هذا الطريق يمتنا ونحن نعلم أنه يصل بين دمشق وبغداد . وقد سعدت بقطعه عشر مرات . فلم توحشنى قفاره ، ولم يعنى طوله ؛ بل أنست فيه بذكريات عظام ، وتحدثت فيه إلى أمال جسام .

وبعد قليل رأينا طريق تدمر ينشعب إلى يمين طريقنا ، ثم دخلنا أرضا جبلية يسير الطريق فيها على سفوح الآكام وحفاف الأودية ، ثم انفرجت الجبال واتسع السهل والساعة إحدى عشرة وبلغنا النبك بعد ربع ساعة ، وهى فى سهل واسع خصب ، تلوح فى نواحيه قرى قليلة متباعدة وضياع وأشجار . والعمران والخصب ظاهران فى البلدة وحولها . وكذلك كانت فى القرن السابع . قال ياقوت : « قرية مليحة بذات الذخائر بين حمص ودمشق فيها عين عجيبة باردة فى الصيف صافية طيبة عذبة يقولون مخرجها من يرور » . ويرور هذه بين حمص وبعلبك وهى إلى الجنوب الغربى من النبك . والنبك مركز قضاء يسمى باسمها . ويستخرج فى نواحيها عرق السوس . وقد نزلنا على مجرى هذه العين ، فى بستان صغير فيه ناعورة . فاسترحنا واستروحنا إلى البستان والماء والناعورة واحتف بنا موظفو البلدة ونائبها وأعيانها . واستأنفنا السير بعد قليل نؤم حمص فمررنا بدير عطية ورأينا على بعد إلى يسارنا قرية القارة . وهى قرية قديمة معروفة . قال صاحب معجم البلدان : « قرية كبيرة على قارعة الطريق . وهى المنزل الأول من حمص للقاصد إلى دمشق . وكانت آخر حدود حمص وما عداها من أعمال دمشق . وهى على رأس قارة وبها عيون جارية يزرعون عليها » والظاهر أن الأرض هناك كثيرة العيون وبهذه العيون تحيا الأرض هناك وتخصب وينبت الزرع والشجر وينشأ العمران . وكان معنا الأستاذ أديب التقى فقال : العامة يقولون : بين القارة والنبك بنات الملوك تبكى ؛ قلت : لم تبكى ؟ قال والعهدة عليه : من شدة البرد .

أخذ السهل يتسع حتى اختفت الجبال التى كانت تلوح بعيدة على يمين الطريق وابتعدت الجبال التى على يساره ، وأشير إلى سواد بعيد يبدو فيه الشجر والخضرة فقيل : انه متبع العاصى ، وشرعنا نرى آثار الخصب والنضرة فى سقى العاصى . والعاصى اكبر أنهار سوريا ينبع شمالى بعلبك ويجرى صوب الشمال حتى يخترق بحيرة حمص ويمر بمدينة حماة . ثم يتجه صوب الشمال والغرب حتى يفيض فى البحر . وكم يفيض بحراه الخصب والبركة وينبت الزرع والجنات ، وينضر البساتين والمتنزهات ويدر النواعير الكبيرة الرائعة .

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

الشـــوامخ

الجزء الأول : امرؤ القيس

الجزء الثانى : خصائص الشعر الجاهلى وأغراضه

درس وتحليل

بقلم

الدكتور محمد صبرى

أول كتاب يبرز عبقريه الشعر الجاهلى وزعمائه بأسلوب جديد يستند إلى التحليل المقارن بأدب الإفرنج يطلب من المكاتب الشهيرة وثمن الجزء الواحد ٣٠ قرشا

منخفض القطارة

في صحراء مصر الغربية

للأستاذ ستانلتون تروك .

كان قدماء المصريين يظنون أن منخفض القطارة هو الدار الآخرة . وكان قدماء الإغريق يعدونه الموطن الخرافي للغول الوحشي : ميدوس (Medusa) الذي كانوا يعتقدون أنه إذا نظر إلى شيء حوّله حجرا . ولا شك أن السبب في نشأة هذا الزعم هو ما كان يروى من القصص العجيبة عن الغابات والنباتات المتحجرة التي تغطي مساحة المنخفض . ولقد عبر منخفض القطارة جيش بقيادة قمبز بن قورش الأكبر ، حينما زحف إلى مملكة سيوة لفتحها . ويحدثنا هيرودوت أن ذلك الجيش وقع فريسة لعاصفة رملية اجتاحته فلم يسمع عنه خبر . ولقد اجتاز الاسكندر الأكبر كذلك الطريق في عودته من سيوة بعد أن نادى به قاوسة المعبد السيوى إلهاً . تلك هي طبيعة منخفض القطارة ، حتى إنها ظلت مئات السنين تقذف الرعب الخفي في القلوب ، فكان الرحالون والقوافل تتجنبها دائما

ومع أن المنخفض قد كشف في أواخر القرن الثامن عشر وارتاده الرحالة الألماني رلفس (Rhulfs) سنة ١٧٨٤ ، لم تتجه إليه الأنظار اتجاها قويا إلا في فجر القرن التاسع عشر

على أن حديثنا هنا هو عن جماعة الكولونيل باكنولد (Bagnold) الذين اجتازوا المنخفض بالسيارات في سنة ١٩٢٧ وقد دون باكنولد ماجاء على غير ما كان يتوقع جمهور الناس ، إذ قال إنه لم يصادف في رحلته حوادث مثيرة أو خطيرة ، فلم يضلوا الطريق ، ولم تتعطل سياراتهم ، ولم تهاجمهم قبائل معادية . وقد قامت الفرقة برحلتها المنهكة من غير حوادث ولا مصادفات ولكنها عادت بوصف واضح لتكوين المنخفض . ويقول باكنولد إنه حتى في أثناء الحرب العظمى الماضية لم تحاول عبور المنخفض دوريات السيارات الخفيفة التي كانت تقوم بعملها في مصر لحراسة حدودها . ولقد بدأ رحلته من مينا ، باب الصحراء الغربية ، واختط طريقه جنوبي حافة المنخفض عابرا إلى قارة ومنها قدماً إلى سيوة — فبلغ ما قطعه في رحلته ٤٠٠ ميل . ولاشك في أن الرحلة لم تكن نزهة يتفكه بها ، إذ أن المنخفض ليس أرضاً صلبة ، لذلك كانت عجلات السيارات تغوص في التربة الرملية الملحية .

وكانوا في بعض الأحيان يقابلون قطعانا من الغزلان ترعى الحشائش المتناثرة التي تنمو بقطرات الندى ، والتي يحيط بها من كل ناحية سهول ممتدة من الرمل الأصفر ، تتلاشى بالتدريج في خط الأفق .

ويتألف المنخفض من سلسلة من الأحواض الضحلة تحتضنها حروف واطئة ملتوية من الحصباء السمراء المحترقة بأشعة الشمس . وتقطع الأكمات على مقربة من منخفض القطارة بحار تشبه الجداول الصغيرة ، غير أن الماء لم يعرف سبيله قط اليها . ومن المشاهد العجيبة في المنطقة الجنوبية للمنخفض انتظام الأكمات الرملية التي تنفصل كل منها عن الأخرى بما يقرب من مائة ياردة (أي نحو تسعين مترا) ، في صورة مجموعة متصلة من السلاسل الرملية . وتجد متناثراً هنا وهناك على الأكمات الرملية جذوع أشجار الغابات المتحجرة بما فيها من عقد وفروع ، وبعض تلك الجذوع غائر بحيث لايبدو منها فوق الأرض الناعمة التربة إلا أعلاها بشكل يشبه مخالب عملاق تمتد في الفضاء . وفي أثناء عبور الفرقة للمنخفض عثروا على مواطئ أقدام لا بد أن يكون قد مضى عليها سنوات عدة ، ولكنها مع ذلك لم تكد تؤثر فيها العوامل الجوية . وهناك يلف صمت الصحراء الرهيب كل شيء ، كأنه ملاءة شاسعة ، ذلك الصمت الذي يستحوذ على مشاعر الانسان ، فان لم يسيطر العزم الصادق على أعماله حينئذ ، تغلب ذلك الصمت عليه فساقه في أي اتجاه طلبا للنجاة مما استولى عليه من السأم ، محاولا البحث عن سلوى يلجأ اليها في ذلك العمق الرهيب لسكون الفازة الشاسعة ، وما يزال كذلك حتى يضل الطريق فلا يعرف أمشرق هو أم مغرب . عندئذ تلحقه الخيبة والهزيمة فيقع في سبات — فان لم تسارع اليه النجدة كان الهلاك مصيره . تلك هي الأراضي التي اجتازها باكنولد ورفقاؤه .

وتدل الكتابات الجغرافية عن المنخفض على أن مصلحة المساحة المصرية قامت بتخطيطه على خرائط دائرية منذ سنة

١٩٢٧ ، وبذلك أصبحت مساحته معروفة على سبيل الدقة . وتكتنفه الأجرف الرملية من جانبيه الشمالى والغربى ، على حين أنه فى جانبيه الجنوبى والشرقى منفتح منبسط بحيث ان قاعه فى معظم هاتين الجهتين يأخذ فى الارتفاع تدريجيا حتى يوازى المستوى العام للصحراء الحقيقية ويتلاشى فيه . وهذا التدرج فى الارتفاع من قاع المنخفض الى سطح الصحراء يجعل من الصعب تخطيط حد فاصل بين نهاية المنخفض وبداية الصحراء . على أننا اذا اعتبرنا المنخفض شاملا لبقعة الأرض الفسيحة التى ينخفض سطحها عن سطح البحر ، كان طوله من الشمال الشرق الى الجنوب الغربى ٢٩٨ كيلو مترا ، مع عرض يبلغ أقصاه ١٤٥ كيلو مترا ، فتكون مساحته ١٩٫٥٠٠ كيلو متر مربع . ويدخل فى حدوده واحة المغارة على جانبه الشرقى ، وواحة قارة — وهى واحة آهلة بالسكان على الدوام — على جانبه الغربى . ويقع الجزء الضيق للمنخفض ، أى الجزء الشرقى الذى به واحة المغارة ، على بعد ٢٠٥ كيلو مترات من القاهرة ، على حين أنه على مسافة لاتزيد على ٥٦ كيلو مترا من البحر المتوسط ؛ أما طرفه الغربى ، بالقرب من واحة قارة ، فانه يمتد الى نقطة تبعد ٨٠ كيلو مترا عن القرية الرئيسية لواحة سيوة ، كما تبعد ١٣٠ كيلو مترا عن حدود مصر الغربية . ويبلغ متوسط عمق المنخفض ٦٠ مترا تحت سطح البحر ، وأعمق نقطة فيه — وهى على مسافة ٣٠ كيلو مترا الى الجنوب الشرقى من قارة — يصل غورها الى ١٣٤ مترا تحت سطح البحر . ومما يسترعى النظر أن من الـ ١٩٫٥٠٠ كيلو متر المربعة التى تؤلف مجموع مساحة المنخفض جزءاً لايقل عن ١٣٫٥٠٠ كيلو متر مربع سطحها تحت مستوى سطح البحر بأكثر من ٥٠ مترا .

وتتغطى مساحة كبيرة من قاع المنخفض بتربة سبخة — وهى خليط من الملح والرمل — فيها على وجه العموم قليل من الماء ، وفى بعض البقاع تنبسط السبخة فوق أرض صلبة لايمكن اجتيازها الا بمشقة ؛ غير أنه فى جزء كبير من قاع المنخفض تتحول السبخة الى قشرة صلبة أو رخوة تغطى وحلا متشبعا بالأملاح — وهذا الجزء يستحيل اجتيازه . وتضع الأكمات الرملية التى أشرنا اليها من قبل فى أقصى الأجزاء الجنوبية للمنخفض ، وهى نتيجة لهبوب الرياح .

وبدل البحث الدقيق فى مساحة المنخفض والمنطقة المحيطة به على أنه لم يكن هناك ولا شك اتصال مباشر بين البحر والمنخفض فى وقت من الأوقات ، بل إن الماء الذى يوجد بالعيون القليلة التى ينز فيها الماء على مقربة من الجانب الشمالى انما سببه تواصل تشبع الماء من تحت الأرض الى سطحها ، ذلك الماء الذى ينبع من نجود اندى (Ennedi) فى أقاصى الجنوب الغربى لمنطقة خط الإستواء بأفريقية ، ويسرى فى جوف صحراء ليبيا ، فيمد الآبار الأرتوازية فى الواحات الخارجة ، والداخلة ، وواحة الفراقرة والبحرية ، وسيوة . ويبلغ متوسط المطر الذى يسقط على منخفض القطارة نحو ٢٠ مليمترا فى السنة . ويتكون الجرف الشمالى للمنخفض من هضبة واحدة ممتدة بغير انقطاع ، ويبلغ ارتفاعه نحو ٢٥٠ مترا ، أما سفح تلك الهضبة فيبدو كما لو أن نهراً عظيما كان قد اتخذ مجراه على امتداد حافته ثم جف ماؤه فلم يخلف سوى حوضه المحتفر . وفى هذا الحوض — الذى يمتد على أعماق مختلفة ، حتى داخل حدود ليبيا — توجد العيون المائية القليلة فى تلك المنطقة . أما العيون التى تستمد مياهها من الأمطار فلا وجود لها هنا .

ورحلة باكنولد ورفقائه كانت عبر الحدود الجنوبية لتلك المفازة السبخة ، الصامتة ، الرهيبة ، الخالية من الماء ؛ وكانت جمابهم لاتحمل أمتعتهم فحسب ، بل حملوا معهم كذلك كل قطرة من ماء الشرب العزيز الذى كان مقدراً لهم ، لكل منهم قدر معلوم لايتجاوزه فى كل يوم . وبلغ الركب آخر الأمر واحة سيوة ، حيث يبدأ بحر الرمال الذى لاساحل له ، وحيث تتلاشى على الخرائط المعالم الأرضية ، وتحل محل الخطوط التى تحددها النقط التى ترمز للرمال تتلوها الرمال ، وحيث يقرأ المرء على الخريطة تلك الإشارة الناطقة : « حدود الأكمات الرملية غير معروفة » .

ولقد عبر باكنولد ذلك البحر الرملى الشاسع بعد عبوره منخفض القطارة بسنتين ، وعاد كذلك بمعلومات قيمة .

* * *

ومن العجب أن بعض الرحلات الاستكشافية قد تبدو ابان القيام بها عديمة الأهمية ، ثم تحل من التاريخ المستقبل محلا رفيعا وتسيطر على بعض حوادثه سيطرة بليغة ، وبخاصة حين يكون مصير الشعوب فى ميزان القدر : فلقد وجد الجيش البريطانى الثامن فى منخفض القطارة ميسرة منيعة له حينما تقهقر من ليبيا واتخذ له

خطا دفاعيا جديداً يمتد من العلمين ، على ساحل البحر المتوسط الى نحرف منخفض القطارة — وهى مسافة تبلغ نحو ٧٥ ميلا . ولقد وقف ذلك الحاجز المنيع عقبة كأداء فى وجه روميل وفرقه المدرعة التى كان يعتمد عليها كل الاعتماد . ثم أصبح ذلك الحاجز المركز الذى وثب منه الهجوم البريطانى حينما تجمع فى ذلك الخط ، ذى الخمسة والسبعين ميلا ، كل ما كان للجيش الثامن من عدد وعدة . ثم صب على « الجيش الأفريقى » الألمانى بتلك الصورة المهلكة ، حتى انه فى مدى ٣٨ يوما تفرق شذر مذر مرتدا الى طرابلس ، متقهقراً مسافة تزيد على ١٧٠٠ ميل — وهو أعظم تقهقر عرفه التاريخ الحربى . وفى أثناء تقدم الجيش البريطانى تحت لواء النصر فى أراضى ليبيا ، ألفى كذلك ميسرة طبيعيـــة أخرى ، تلك كانت بحر الرمال الشاسع الذى يلقى بالصعوبات فى سبيل وسائل النقل العديدة « الميكانيكية » . وبذلك كان الجيش على الدوام خلوا من كابوس العدو اذا عن له أن يصد الهجوم بهجوم على الجناح أو المؤخرة ، مما كان يفسد جميع الخطط الدقيقة التى وضعها القائد مونتغمرى . أفلا يصح أن نقول ان منخفض القطارة كان اليد المساعدة التى مدتها الطبيعة الى مصر ، لانقاذها من العصابات النازية المغيرة ؟

***

ترى ، هل يظل منخفض القطارة ذا اهمية لمصر فى مستقبلها ، أم هل يبقى مفازة تتحدى جهود البشر ؟ ألا ان هناك مشروعا نافعا تقدم به الدكتور جون بول (John Ball) فى تقرير له . فقـــد اقترح فى سنة ١٩٢٧ ، وأعاد اقتراحه مرة ثانية فى سنة ١٩٣٣ ، بأن من الممكن استخدام منخفض القطارة لتوليد الكهرباء بالقوى المائية . وقد بحث الموضوع بمنتهى الدقة ، وعرض بشىء من التفصيل لطرق تنفيذه . واذا نفذ مثل هذا المشروع فان آلافا من العمال يستخدمون فى بناء الأقنية من البحر المتوسط الى حرف المنخفض ، كما تستخدم المهارة والكفاية الفنية التى تدخرها مصر فى رجال المساحة والهندسة من أبنائها . ذلك الى أنه اذا أمكن العثور على بقعة من الأرض مصمتة لاتتخللها المياه لتكون حوضا للملاحات ، كان من السهل انشاء منجم للملح بمساعدة محطة التوليد الكهربائى ، وبذلك يتيسر انتاج سلعة بثمن زهيد ، وهى الملح الذى لا يستغنى عنه بيت فى البلاد الشرقية .

وبناء على تقدير الدكتور بول يمكن الحصول من محطة الكهرباء على ٢٠٠٫٠٠٠ كيلووط صافية ، وان هـــذه القوة الكهربائية تزود المناطق الساحلية على الشواطىء المصرية برفاهية لاشك فى تقديرها ، كما أنها تحول مئات الأميال فى مناطق البرارى والصحارى الى مدن ومجتمعات تنبض بالحياة ؛ فان هذه القـوة الكهربائية هى التى تجلب معها حيث تسير الصناعة والتجارة والعمل لآلاف الناس .

ومن البديهى أن الأمل فى انفاذ ذلك المشروع يتوقف على الحاجة المستقبلة الى القوة الكهربائية ؛ غير أن أهم جزء فى نفقات أى مشروع لاستغلال ذلك المنخفض المهمل هو الأعمـال الانشائية اللازمة لحفر الأقنية لمرور المياه من البحر المتوسط الى المنخفض . على أن العمل لا ينقطع بمجرد انشاء هذه الأقنيـة ؛ فالحاجة الى أعمال الصيانة لمخازن الكهرباء وما اليها تظل أبدا قائمة ، كما تظل الحاجة الى العمل فى الملاحات .

وأمر آخر ، وهو أن تحويل المنخفض الى بحيرة يسبب زيادة صغيرة فى سقوط الأمطار على السهل الشمالى ، كما يخبرنا بذلك الخبراء فى حسابهم الدقيق . ومن الواضح أن هذه النتيجة تكون من أعظم الأمور نفعا للزراعة فى المناطق الساحلية ، كما أنها ترفع مستوى الماء فى الواحات المختلفة .

ألا إن شبان الأمم جميعها يتطلعون الى المستقبل : وسيكون أمام مصر ، بعد أن تضع هذه الحرب أوزارها ، فرص لا تعد للقيام بأعمال اصلاحية تؤدى بهـا خدمات لنفسها ولغيرها ، وتحتل بذلك تحليها بين شعوب العالم الرئيسية ، متمتعة بثمار أعمالها ؛ تلك هى الفرص التى تتيح لأهلها من العلماء ، ومهندسى المساحة ، والأطبـاء ، ورجال الصناعة ، ومهرة الفنيين ، والطلاب ، أن يتقدموا الى الأمام — كل يؤدى نصيبه فى جعل العلم والصناعة مورداً عذبا ينهل منـه جمهور الشعب . ومنخفض القطارة فى مصر ، على حد قول الدكتور بول فى مشروعه المقترح ، لايزيد على أن يكون أحد الأعمال الانشائية اللازمة بعد الحرب ، وهو عمل ينبغى أن ينال تفكيرا جديا من جميع المهندسين المصريين سواء أكانوا من رجال الكهرباء أم من رجال التعدين ، لكى تصبح ثمرة معارفهم ومهارتهم نفعا عميما لأبناء جلدتهم .

مثابلتون بول

على هامش النقد

خواطر متساوقة

في النقد والأدب والأخلاق

١ — صرخة إنسانية ٢ — قصة نفسية
٣ — تفاؤل مطمئن

للأستاذ سيد قطب

في عدد « الثقافة » قبل الأسبق قصيدة لشاعر شاب « محمد العلائي » بعث بها إلى أبي العلاء « من القاهرة إلى المعرة » ... هي صرخة إنسان مألوم . قذفت به إرادة الحياة إلى دنيا كدنيا أبي العلاء ؛ ولم تكتف بهذا الشبه في كيانه وموقفه فسمته « العلائي » أيضاً !

وعلى كثرة ما أقرأ من الشعر في هذه الأيام منشوراً في الصحف وغير منشور ، فقد وجدت في هذه القصيدة طعماً لا أجده في ذلك الكثير . وجدت طعم الصدق في هذه الصرخة المباشرة ؛ فتحركت في ضميري كل أحاسيس « التعاطف » . ولا أقول كل مشاعر « العطف » كي لا أوذي الشاعر ، الذي ترتفع حساسته المؤذية حتى يقول هذه الأبيات :

شيخَ المعرّة هل مسّتك أهوالي ؟
وهل طويتَ زماناً تحت أثقالي ؟

هجرت دنياك لم تشهد مباذلها ... ولم تعرّج على صحب ولا آل
ولم تساير مَوَدّات على رِيَبٍ ... ولم تصانع أذى عم ولا خال
ولا الوجوه إذا اهتزت ملاحمها ... بغمزة السوء من بال إلى بال
ولا العيون إذا رفّت بخائنة ... ولا تميع مسلول ومحتال
ولا حبائل مطموس على جدث ... به رميم الخطايا منذ أجيال
ولم تصعّد أمانيّا إلى شجر ... مدّ الظلال على طين وأوحال
ولم تضاحك غراب البين تحسبه ... غريدَ سانحة من يوم إقبال
ولم تذق خمّة الدنيا إذا مزجت ... كأس القلّ بأشواق وآمال
ولم تكابد رزاياها إذا جلبت ... شؤم العثار على ضيم وإقلال

ووجدت طعم الصدق كذلك في هذه الصورة الزرية التي يرسمها للجيل البائس الذي نعيش فيه :

بنو الأوان مسوخ لا كيان لهم ... مرضى القلوب خطيئات لآباء
مَوْتى المشاعر إلا يوم تافهة ... عمى البصائر إلا نحو أقذاء
هدّت كياني بلواهم وحيّرني ... داء التفاهة في موتى وأحياء
كأن ثرثرة الأفواه في أذني ... رشاش سم على قلبي وأحشائي
يقيء سمعيَ أشهى ما يقود به ... خيارهم يوم سراء وضراء
هم كالذباب فلا خير بأنفسهم ... لأصدقاء ولا شر لأعداء
كلٌّ سواء : فلا بَرٌّ يقيء له ... قلبي . ولا فاجر أصليه بغضائي

يا أخي :

تلك — مع الأسف — صورة بني الأوان ، في قلب كل « إنسان » وهي صورة كريهة شائهة ، ولكنها هي الحقيقة الحقيقة . وقد تكون أنت أشد حساسية بها ، ولكنك لست مفرداً فيها .

وإني لأود لو تبلغ كلماتي هذه إلى أذنيك ، ولو تجاوزها إلى قلبك . ولو تستطيع أن تنقل إليك اهتزاز نفسي ، فتشعر — على البعد — بهذا التجاوب معك في دنياك !

* * *

وانتقلت من هذه الصرخة الوجيعة إلى مقال بعدد الرسالة الأسبق للدكتور مندور عن « الرقص الكلاسيكي » وليست النقلة بعيدة — كما يبدو — فقد بدأ المقال هكذا :

« بدا لي أن أكتب عن الرقص ، وذلك أملا مني في تقويم الأخلاق . وقد يبدو هذا غريباً ؛ فكيف نقوّم الأخلاق بالحديث عن الرقص ؟ ومع ذلك فهذا حق ، فالرقص ونقصد به الإيقاعي والتعبيري — لا الرقص الشرقي طبعاً — يورث من يزاوله من رجال ونساء قوة في الجسم تحرر النفس من آفاتها »

نحن إذن في مجال الشكوى من قيود النفس ومن ضمور الأخلاق . في المجال الذي انبعثت فيه صرخة الشاعر الوجيعة ، لم نعده إلى سواه !

وتعجبني قفزات الدكتور مندور — في بعض الأحيان — ففيها طابع الحرارة ، وعنصر الإخلاص ؛ وهو مُيَسّر لهذه القفزات ، وإن اختلفنا معه في التطبيق هنا كما اختلفنا معه في تطبيق « الشعر المهموس » !

اسمعه يقول : « والرقص كما هو رياضة للجسم رياضة للروح . وذلك لأنه يغذيها بشعورين لهما أثر عظيم فى الحياة ، وهما الشعور بالمرح ثم الشعور بالجمال . وليس من شك فى أن هذين الشعورين من أضعف المشاعر عند الشرقيين ، حتى لأحسب أن جانباً كبيراً من ضعف النفوس الذى نشكو منه يرجع إلى الحزن الذى يزل الخراب بالقلوب ، كما أن الإحساس بمعنى الجمال ومعاييره الصادقة يكاد يكون منعدما . والنفس الحزينة لا تعرف الثقة والتفاؤل . والحس الذى لا يدرك الجمال لا يحجم عن الخسيس من الأمور »

وكل ما يختص بأحزاننا الهامدة صحيح . ولقد كتبت فى عام ١٩٤٠ مقالا مطولا فى مجلة الشؤون الاجتماعية تحت عنوان : « مباهج الحياة عنصر أصيل فى الإصلاح الإجتماعى » بدأته بهذه الفقرات :

« نحن فى حاجة إلى حظ كبير من الفرح ، لأننا فى حاجة إلى حظ كبير من الحياة ، وإلى حظ كبير من سلامة الفطرة ، وصحة الشعور ، وهما أكبر مقومات الحياة .

« وحظنا نحن المصريين من الحياة ضئيل ، لأن حظنا من الفرح ، ومن المباهج الروحية ضئيل . وإنما يصح هذا القياس لأن الفرح الإنسانى ظاهرة نفسية وعقلية ، تقابل فى الحيوان ظاهرة القفز والوثب ، وفى الطير ظاهرة السقسقة والغناء ، وفى النبات ظاهرة التفتح والازدهار . وهذه الظواهر جميعاً دليل الحيوية والصحة فى الأحياء .

« نحن فى حاجة اذن الى حظ من الفرح الإنسانى الراقى ، لأننا فى حاجة الى حظ من الحياة الصادقة والفطرة السليمة .

« ولكن أهذا كل ما ينقصنا من ألوان الفرح ؟

« الواقع أن حظنا كذلك ضئيل حتى من الفرح الحيوانى الذى يدل على سلامة البنية وصحة الجسد واكتفاء الغريزة . والحرمان من هذا اللون ربما كان أخطر وأوغل فى العلة ، لأننا بهذا الوضع لا نرتقى فى سلم الصحة حتى الى مرتبة الحيوان ! »

« تشخيص » الدكتور مندور للعلة فى الشرق صحيح . ولكن الذى أخشاه هو ألا يكون قد وقع على العلاج الصحيح . وألا يكون رقصه المقترح هو الدواء المفيد .

فلقد ضرب المثل بالإغريق وإقبالهم على الرقص وأثر هذا الرقص فى تربيتهم الخلقية وفى عبادتهم للجمال . الجمال الذى هو قوام العمل الخلقى : « وليس من شك كذلك أن عبادتهم للجمال وحرصهم على التناغم والانسجام قد أحيا فى نفوسهم معانى البطولة ومثل الأخلاق . ومن البين أن أهم صفات العمل الأخلاق هو جماله المشرق » ...

فالذى أعتقده هو أن الإغريق انما أقبلوا على الرقص الذى « يستمد ايقاعه من الموسيقى الشائعة فى الطبيعة » لأنهم قبل أن يرقصوا فاضت نفوسهم بالحياة الدافقة ، وأحسوا موسيقى الطبيعة الشائعة ، فأفاضوا الحيوية الكامنة فى كيانهم رقصاً ، وبادلوا موسيقى الطبيعة الشائعة ايقاعا . ولم يكن الرقص الا منفذاً للرصيد المذخور .

وليس الذى ينقص الشرقيين هو أن يرقصوا على نغمات الطبيعة ، ولكن الذى ينقصهم هو أن يدركوا هذه النغمات ، وأن يجدوا لها رصيداً يكافئها فى نفوسهم فيجاوبوها بهذا الرصيد .

ان الحيوية الكامنة هى التى تنقصنا — فيما أحسب — فليس لدينا منها ما ننفقه فى الرقص وما ننفقه فى المرح ، وهما منفذان يتسرب منهما النبع الفائض حين يفيض . فمتى يمتلىء الإناء الفارغ ، حتى يتسرب وحتى يفيض ؟

هذه هى المسألة يا عزيزى الدكتور !

* * *

ولا نختم الصحيفة على هذا التشاؤم ، فنى عدد الرسالة نفسه بصيص من نور فى مقال للدكتور محمد صبرى عن « علل المجتمع المصرى » جاء فيه :

« لكل مجتمع علله وآفاته ، ولكننا اذا استعرضنا علل المجتمع الأوربى كانت هذه العلل خاصة بمجتمع قد تهيأت له جميع الشخصيات القومية ، وتجلت مظاهر القوة ومظاهر الضعف فيه . أما المجتمع المصرى فهو مجتمع فى طور الانتقال »

« والواقع أن علتنا وآفاتنا كثيرة نشأ معظمها من الاستعباد وطول عهوده . وقد أصبحنا وفينا مركب الشعور بالنقص . وهذا واضح جلى فى « معاملات » المصريين والأجانب . وما بقيت هذه العلة بغير علاج حاسم فستظل « الامتيازات » فى نفوسنا وأخلاقنا ، وان تكن قد محيت فى الورق والمعاهدات .

« وقد أصبحت هذه الحالة مدعاة لليأس والتشاؤم ، ففريق من المصريين يقول : إنه لا أمل فى اصلاح هذا الشعب . وفريق من الأجانب — وعلى رأسهم المؤرخ الكبير جبرائيل هانوتو — يقولون : إن مصر لا غنى لها عن الأجانب ، وان مركزها الجغرافى الى جانب ذلك يفرض عليها قبول سيطرة الدولة التى تهيمن على البحر الأبيض ، أى قبول الاستعباد فى شكل من أشكاله »

ثم يختم كلمته قائلا :

« وقد اخطأ الفريقان فى نظرهم وتشاؤمهم ، ويرجع ذلك الخطأ الى أنهما قد أصدرا حكمهما على الشعب المصرى باعتباره قد استكمل أدواته للكفاح ، وأخذ أهبته وجرب وكبر واستقر. وبعبارة أخرى قد قطع مرحلة الانتقال وظهرت ملامح شخصيته الثابتة من حسنات وعلل وعورات

« ولو انهما انتبها الى أن حالة مصر اليوم لا تزال حالة انتقالية ، وان بعض العلل التى تراها ليست من العلل « المزمنة » وقد تكون غريبة عن جوهر الخلق المصرى الصحيح ، وانها اذا عولجت امكن عنه ، بوزالت كما يزول كل عرض ... أقول لو أنهما انتبها الى ذلك لعلما أن تشاؤمهما أكبر خطر يتهدد الفكرة الاصلاحية ، بل وكل فكرة تطمح الى المثل العليا والسير بالبلاد الى أبعد الغايات » .

* * *

هذا التفاؤل مطمئن على كل حال . وفى هذا القول كثير من الصدق . وشاهده قائم فى الحياة المصرية القديمة والحياة المصرية اليوم . وقد كانت لمصر مناهجها الحية يوم كانت حياتها توحى بالمرح والابتهاج ... وحتى الرقص ، الذى يريد الدكتور مندور ليستجلبه لنا من الإغريق . قد حفظت لنا منه الصور الفرعونية والآثار مشاهد جميلة فائضة بالحيوية منسقة بالايقاع ، مشعة بالسرور !

فلنستمع الى صرخة الشاعر الإنسانية ، والى قفزة الدكتور النفسية ، والى تفاؤل الدكتور المطمئن ، فكلها دليل حيوية قد أخذت فى الظهور

سيد قطب

محمود تيمور

رائد القصة العربية

تأليف نزيه الحكيم

دراسة تحليلية للاتجاهات الأدبية الحديثة

فى آثار القاص المصرى

محمود تيمور

يطلب من مكتبة النهضة المصرية شارع عدلى بالقاهرة ، وكذلك من مكتبة مصر ٦٣ شارع الفجالة بالقاهرة

وثمن النسخة عشرة قروش

رئيس ... !

عدت إلى منظاري فوضعته على أني وقد أزلت عنه ما علق به من الغبار والصدأ ؛ وما زال لهذا المنظار سحره العجيب . فهو يريني من دنيا الناس ما لا تريني العين المجردة ؛ فلولاه مثلا ما استوقف بصري هذا الذي أحدثك عنه ، والذي أضيف إليه لقب الرياسة العظيم ، وما هو من ذوي الجاه ولا العظمة ، إذ ما زاد على أنه كبير الخدم بالمدرسة التوفيقية الثانوية.

وأنا يا قارئي العزيز رجل بسيط ، فقد لا أرى شيئاً من العظمة ولا من الرياسة في بعض من تواضع الناس على أنهم عظماء ورؤساء ، وقد أرى العظمة كل العظمة والرياسة كأحسن ما تكون الرياسة في رجل كالذي أحدثك عنه . ولست بالضرورة أدعوك إلى أن ترى ما أرى ، فأنت وشأنك ، وإنما أدعوك لأن تقرأ هذا في غير سخرية مني ...

إن « عم أحمد حسين » كما يسميه الطلاب « والريس أحمد المهدة » كما يدعوه زملاؤه ، أو على الأصح مرؤوسوه ، هو رجل يريني منظاري من خلقه وسمته ما يحملني على أن أرى فيه رئيساً بل ورئيسا محبوبا ان أردت الحق .

أول ما حببه الى وقاره اذا تكلم أو مشى ؛ ووفرة شعوره بشخصيته . والأنفة ممن كان في مثل موضعه تحمل على الإعجاب والمحبة ؛ فكم نسي الأنفة كثيرون هم أرفع درجات منه بحكم العمل . وليس في أنفته شيء مما يرى في غيره من ذوي الرياسات من صلف أو غرور ، وانما هي الكرامة تلمحها في وجه « عم أحمد حسين » حين يأمر في صلف أو ينهر في غير موجب ؛ فتراه عندئذ يرشق آمره أو ناهره بنظرة ثائرة فيها التمرد الصامت ، والعتاب الذي يشبه الازدراء ، وبين يديه ثمانية وثلاثون عاما قضاها بين جدران ذلك المعهد العتيق . فمثله ليس بالشخص الذي يرهب سلطان متسلط وقد درج تحت بصره في هذا المعهد مئات من رجالات هذا البلد فما أساء اليه أحد بكلمة .

وحببه الى كذلك حيويته ودأبه واخلاصه في عمله وعظيم تأثيره في مرؤوسيه وقد علت به السن ؛ فما تدور بعينيك في ركن من أركان الدار الا طالعك منه « عم أحمد » في جلبابه الجيد النظيف وقد تجمد شعر فوديه الأبيض تحت طربوشه القاتم الطويل يدفعه دأبا الى الخلف قليلا بحيث تتدلى ضبوطه فوق أذنه اليمنى ، وكأنما يكبه هذا الوضع نهاية الى جانب ما يكسبه منها شعره الأبيض وطول أعوام خدمته ، أو هكذا أخيل الى منظاري ...

ويعجبني منه ذكاؤه وسرعة خاطره وخفة روحه ؛ فهو سريع الفطنة الى ما يسرك من ألوان الحديث وكيفيه الخطاب ، فيحدثك وهو ينظر بعينيه اللامعتين اذا تسمع ، فإن لمح أثر ارتياحك على محياك استرسل ، وان آنس فيه كدرة أدار الحديث في لباقة وسرعة حتى يقع على ما تحب .

وأجل حديثه ما كان عن تاريخ المدرسة وتلاميذها القدماء . فيسمعك أسماءهم كما كانت تسمع في فناء الدار ، خالية من ألقاب العزة والسعادة والمعالي وما اليها ، وكأنه يريد أن يلقي في روع طلاب اليوم أن هؤلاء كانوا بالأمس مثل ما هم عليه الآن ، وهو ايحاء يحبه الطلاب . ومن يدري فلعل فيهم من يحمل في غد أكبر الألقاب ، أو من يستغني بنباهة اسمه عن جميع الألقاب .

على أن أكرم خلال ذلك الرئيس هي وفاؤه لكل من يعمل معهم ، وغيرته على سمعة ذلك المعهد الذي يعمل فيه ، وأن جميع من عرفوه ليلمسون فيه هذا الوفاء .

واذا شئت دليلا على وفاء هذا الرجل ، فاعلم أنه يرسل كل عام في عيد الميلاد خطابا الى مستر اليوت[1] بانجلتره ؛ ومستر اليوت هذا كان ناظراً للمدرسة التوفيقية منذ ربع قرن ، وهو لا يملك له اليوم ضراً ولا نفعا ، ولذلك فوفاؤه لا تعلق به شائبة من تلك الشوائب التي قلما خلا منها « وفاء » في هذه الأيام ، وقل في الناس من يوادك الا لعلة .

أرأيت معي أن « عم حسين » خليق بأن يدعى الرئيس . وبأن رياسته خليقة بأن تحب ؟ ان كنت في ريب من هذا فأخطر ببالك من تطمئن الى الاعتراف لهم بالرياسة ، وانظر ان كنت تجد فرقا بينه وبينهم ، ومرد الأمر فيما تحكم الى ذمتك ، أما أنا فلست أشك في أنه أكرم عندي من كثيرين ، واذا كان هذا الخطاب الذي أشير اليه دليلا على ديمقراطية الناظر القديم . فان فيه لك شهادة على أن كبير الخدم أحمد حسين جدير بأن يذكر وبأن يحب .

الخفيف

(١) تجد زد مستر إليوت عليه هذا العام عزباً في البريد الأدبي

من دعاة الحـــرية

جويو

للأستاذ زكريا ابراهيم

ليس أكثر من دعاة الحرية في هذا العصر ! وليس أكثر ايغاراً للصدور من دعاة حرية الفكر ! وما أنا بغافل عن تلك الضجة التي أثيرت منذ أمد قريب ، حين عرض أحد الكتاب لقضية الحرية الفكرية ... ومع ذلك فانني أجد نفسي راضياً بأن أثير هذه المسألة الشائكة مرة ، لأجل خاطر «جويو» صاحب هذه الدعوة !

وصديقنا جويو فيلسوف أصيل جمع بين العمق والطرافة والوضوح . وهو واحد من أولئك الفلاسفة القليلين الذين استطاعوا أن يفهموا الفلسفة على أنها قطعة منتزعة من قلب الوجود ، وليست مجرد أفكار عقيمة لا تمت الى الحياة بأدنى سبب . فالفكرة الجوهرية في مذهب جويو هي أن « الحياة » جوهر الوجود ، وأن الفكر ماهو الا جانب من جوانب الحياة . وقد استطاع جويو أن يوفق بين النزعة الفردية والنزعة الاجتماعية على أساس هذه الفكرة ، فذهب الى أن المثل الأعلى للحياة الفردية ، انما هو ذلك الذي تتمثل فيه الحياة الخافقة ؛ والحياة الخافقة هي تلك التي لا تكون فيها الذات مغلقة على نفسها ، بل تكون قادرة على أن تسع غيرها من الذوات . ومعنى هذا أن نقطة البدء في فلسفة جويو هي « الفردية » لأن الحياة الخصبة الخافقة انما هي الحياة الفردية التي لا تكون فيها معارضة بين الفرد والمجموع ، اذ تمتد الذات حتى تشمل المجموع وتضمه تحتها !

وقد نشأت فكرة الحرية عند جويو كنتيجة لهذه النزعة الفردية الخاصة . ونحن ندع جويو يعبر عن هذه الفكرة بعبارته التي تفيض قوة وحماسة ؛ فيقول :

« ... ألا يمكن أن يأتي ذلك اليوم الذي فيه تزول كل العقائد السائدة التي يتمسك بها الناس ، بحيث لا يبقى أي ايمان عام يمتأثر بالنفوس أو يتملك العقول ؟ ألا يمكن أن يحين ذلك اليوم الذي فيه يصبح الاعتقاد « فرديا » خالصا ، فلا تعود هناك سنة بل خروج وابتداع ؟ ان الرغبة في التحكم في العقول هي أسوأ بكثير من الرغبة في التحكم في الجسوم ، فمن واجبنا اذن أن نتحامى أولئك الذين يريدون أن يفرضوا أنفسهم علينا ، أو أن يجعلوا من أنفسهم موجهين لأفكارنا ، أو قادة لضمائرنا ... أجل ، يجب علينا أن نتجنب هؤلاء كما نتجنب المصائب والمحن ! فقد آن الأوان لأن نسير بمفردنا ، وأن نفزع من أولئك الوعاظ الخادعين ... علينا أن نصبح نحن قادة لأنفسنا ، فلا نفقد الوحي والإلهام الا في نفوسنا . أما المسيح فلم يعد موجوداً ، لأنه ليس ثمة ايمان عام بعد اليوم ! فليكن كل واحد منا اذن مسيحا لنفسه ، وليتصل بربه كما يشاء ، وليعتمد على الهه كما يستطيع ... وليتصور كل منا هذا الكون كما يحلوله ، وليختر أي نظام يروقه. أما أولئك الرجال الذين قد يستطيع المسيح أن يقول لهم : ما أقل إيمانكم ، فطوبى لهم اذا كان معنى هذا أنهم رجال مخلصون لا يريدون أن يخدعوا عقولهم ، أو أن يلغوا ذكاءهم ، أو أن ينتقصوا من كرامتهم ! طوبى لهؤلاء القوم ، لأنهم يملكون روحا علمية حقيقية ، وفكراً فلسفيا صادقا ، ولأنهم لا يؤخذون بالظاهر ، بل يأخذون الحذر حتى من عيونهم وعقولهم ، ولأنهم يبدأون دائما من جديد ، فاحصين احساساتهم ، وممتحنين استدلالاتهم ، ان هؤلاء وحدهم هم الذين يستطيعون أن يظفروا بجانب من الحقيقة الخالدة ، لأنهم لا يظنون في أنفسهم أن في وسعهم أن يظفروا بالحقيقة كلها ؛ فلديهم اذن قدر كاف من الإيمان الحقيقي الذي يدفعهم الى أن يبحثوا دائما ، بدلا من أن يركنوا الى الراحة والهدوء ، مكتفين بأن يرسلوا الصرخة العالية قائلين : لقد وجدنا ! لقد وجدنا ! أجل ، إن هؤلاء هم الشجعان الذين يواصلون السير والتقدم ، حين يقوقف غيرهم ويركن الى الدعة والخمود ؛ فالمستقبل لهم وحدهم ، وفي أيديهم يقع مستقبل الإنسانية في العصور المقبلة ! »

هذه هي الحرية الفكرية كما يفهمها جويو ، فهي في نظره ضرورة من ضرورات الحياة الحاضرة ، وحاجة من الحاجات الهامة التي يقوم عليها مستقبل الإنسانية . وليس أحب الى نفسي من هذه العبارة الخالدة التي يصور فيها جويو موقف الإنسانية اليوم فيقول

أدب الشام الحديث

للسيدة وداد سكاكيني

منذ القدم اقتسمت بلاد العرب أدبها الأصيل ، فكان لكل قطر شعراؤه وأدباؤه . وكان الشعر في آثار العرب الثقافية أول ما جاد به دهرهم وأطل من آفاقهم ، فكان في الجاهلية موزعا بين قبائل وعشائر لكل منها شاعرها الذي يحمي ذمارها ويروي أخبارها ، وكان لنجد شعراؤها كما كان للحجاز أندادهم من أهل القرائح والبيان . بيد أن الأدب الذي انتهى إلينا منهم والشعر الذي أثر عنهم لم يكن بتلك القسمة في عهود الجاهلية متميزاً بعضه من بعض ، إذ كان نسيج القصائد في تلك الفترات متشابها ، ولم يستطع دراس الأدب من قدامى ومحدثين أن يكتنهوا الفروق بين أولئك الشعراء ، فالجزالة والفحولة حتى في شعر النساء كانت شركة بينهم ، وسلامة الطبع والجبلة موهبة فيهم ، والسذاجة والبعد عن التكلف من سجاياهم ، أما الفروق الفنية فقد بدت في الشعر والنثر بعد الإسلام ، فكان شعراء أمية السياسية في طبيعة قصائدهم غير شعراء الحجاز الغزل . وقضى الأمر في قسمة الأدب بين البلاد العربية في العصور العباسية ، فظهرت الميزات والعلامات بمياسم أكثر انطباعا وأشد وضوحا ، فاذا للعراق أدب فياض شاعت في مجاليه مطارحة الندامى وأغاني القيان ومجون الشاربين ، وإذا للأندلس طائفة من الشعراء انسرح خيالهم ، ورق شعورهم ، فابتدعوا الموشحات والمقطوعات ، وخلعوا على أدب العرب وشاحا هفهافا ، وفي نسمات الوادي الكبير ، أطلقوا في ثناياه أعنة الخيال من روح الأدب الغربي الذي رف عليهم ومن صوب الإسبان أو عبر نحوهم من جبال (البرنيه) .

وكان ثمة شعر مطبوع وأدب بهيج الألوان ، نجما في آفاق الشام ، وقد تنتهما دارات غسان ورعتهما ضفاف بردى ، ورفت بهما أفانين (جلق) بغوطتها الخضراء كيوم العصابة التي درّ درها ونادمها حسان في الزمان الأول ، فقد عرفت الشام بالحق من الشعر سماه المعاصرون من عرب ومستشرقين بالطريقة الشامية ، وهو ضرب من البيان ظهر في آثار أبي تمام والبحتري وأبي العلاء فيه اللفظ البليغ والصناعات ذوات التحاسين ، حتى بات شعر الشام ، كعصب اليمن ، أفوافه مزركشة ومطارفه منمنمة ، فكأنه نمارق على أرض أو ديباجة على جدار

وإني إذ أرسم صورة لأدب الشام ، لا أقول بالاقليمية العصبية ولا أغلو في الرأي والتصوير ، وإنما أقصد إلى تلك المزايا التي اختص الله بها كل بلد من الأرض ، فجعل فيها البيئة ذات خلق وتكوين ، تؤثر في سكانها وتطبع المرء بمزاجها ، فتجعله حسب أطوارها ومقتضاها

«إننا على ظهر سفينة هائلة كالتنين الضخم ، وقد اقتلعت الأمواج العاتية دفة هذه السفينة ، وحطمت الرياح الثائرة ساريتها . فالسفينة الآن ضالة في المحيط ، تتخبط ذات اليمين وذات الشمال ، مثلها مثل الأرض السابحة في الفراغ ! وهي تسير بالمصادفة والاتفاق وتضرب ضرب عشواء ، مدفوعة بالرياح السوافي ، كأنما هي حطام هائل يحمل فوق ظهره الناس ... وقد تصل هذه السفينة إلى هدف مجهول ، أو غاية غير معلومة ، فتبلغ الإنسانية غرضا لم ترم إليه من تلقاء نفسها . ولكن ليس ثمة يد تقودنا ، ولا عين ترعانا ؛ والدفة قد تحطمت منذ زمن بعيد ، بل لعلها لم توجد يوما ما ، فعلينا أن نصنع هذه « الدفة » ؛ وتلك مهمة خطيرة ، ولكنها عملنا ، ومن واجبنا أن نقوم بهذا العمل » .

نحن إذن في دور اضطراب وصراع ، فلابدّ لنا إذن من أن نفكر بحرية في الطريقة التي نخلُص بها من هذه الفوضى . والحرية التي يدعو إليها جويّو ليس معناها الفوضى ، وإنما هي حرية تنطلق معها النفوس من نير العبودية ، كما انطلقت الأجسام من نير الرق القديم . العالم — اليوم — يتحرّق شوقا لهذه الحرية ، فقد ظل الفكر أمداً طويلا حبيس الأنفاس ، لا يُفكّ إساره إلا بالقدر الذي يهيىء له أن يسير بضع خطوات في حظيرة الإيمان الضيق ! ولكننا نريد أن ينطلق الفكر كما يشاء ، حرًّا لا تقيده سلطة ، ولا تردّه قوّة ، اللهمّ إلاّ سلطة المنطق ، وقوة المعقول !

(الويس) زكريا ابراهيم

من خطرات هذا الرأي ما صوره الشاعر ألفريد دوموسيه ، فان له رواية عنوانها « الكأس والشفاه » وصف فيها رجلا من سكان التيرول يقول الشعر ويروي سيرته ، فمرضه الشاعر تعاريض أولئك الأشداء الذين سكنوا في الأرض القاسية ، فعلوا ثم الجبال على سهوات خيولهم ، ولم تتطامن أخلاقهم كأولئك الذين سهروا إذ سكنوا في السهول

وما ينكر المنصف أن الأدب كالخلق الحي ينمو ويصح ويسري في أعراقه دماء تطب العارفون فيها الأصالة والمتانة التي تخضع لشرع ثقافية وأحداث اجتماعية وسياسية

فأدب الشام الحديث هو من عهد القتيل أدب عربي الوجه والروح وقد صقله الفن والتطور وطورت عليه مغارس الوطن ، ولم يولد هذا الأدب ولادة ارتجال ، وإنما فتحت الشام العيون بعد الحرب العالمية على حركة فكرية جديدة ويقظة ثقافية بلغها شذاها من ضفاف النيل فودت لو أتاح لها العصر سبباً مثيلا ، وكانت مثل سجين لم يجد أرفه لنفسه وأقرب إلى قلبه من أدب المصريين فتأثرت الشام بهضتهم ومضت على غرارهم في نشأتها الحديثة . وكما راجت فيها سوق الأدب تقليدا فلها شوق أو حافظ ، ولكتاب الفقه المنفلوطي أو الرافعي ، وكان في تلك الآونة نفر من الشاميين متنورين لكل نهضة ، بعضهم عرف الغرب وورد مصر وورود النحل على الأزاهير ، ثم صدر عنها فعاد إلى الشام ينشيء المجلات وينشر الصحف ويحاضر في المجامع والندوات داعيا إلى نشر الثقافة والأدب . وأسس المجمع العلمي العربي في دمشق على الفصحى وحفاظ أمجادها وذخائرها فجمع بين لغوي مدقق وعالم فيلسوف ومؤرخ محقق وشاعر أديب ، ورفدت أعماله مجلة ذاعت في أقطار العرب . وكان من السوريين شعراء قد استيقظوا بعد الحرب الثائرة على صيحات البعث والتحرر والتجديد فأخذوا بشيء من القصيد كأنه الينبوع يفيض حينا وينضب حينا ، وفيهم من حذا حذو جرير والأخطل حتى قلدهما في حلية القريض ، ومنهم من أدمن الإلمام بالمتنبي حتى سرى في بيانه روح أبي الطيب وعنجهيته . وكما كان في كل بلد أدب للشيوخ وأدب للشباب فكذلك حدث في أدب الشام ، وليس بين الفريقين تنابذ وجفاء ، فالشيوخ رسخ مجهودهم في اللغة والعلم والبحث ، والكهول والفتيان امتلأت نفوسهم بالأمل والطموح ، واكتسبوا بالتحصيل ما بذوا به الأوائل ، فقد جمع بعضهم بين الثقافتين العربية والغربية ، فانبعثوا وراء المثل العليا يسترشدون بالهداة ويتأثرون أعلام هذه النهضة التي نشروها من قريب ومن بعيد

وإن في أدب الشام الحديث لألوانا وفنونا ، ففي الكتابة والإنشاء فريق لو أتيح لهم ذوو نشر وطباعة بين بأيديهم فتدعهم في الناس ، أو لو كانت صحفهم تجاوز آفاقهم ، لشاع صيتهم ، وفي هذا مثلا مواهب قيمة في النقد والقصص ، لولا إيثار أصحابها لوظائف الدولة لأثر عنهم كل أثر نفيس

إنه لأدب طريف الألوان أصيل السمات ، ولكنه ضئيل الحرم ، محلى الشيوع ، متيد الخطوات . وفي مصر أدب جبار قيضت له أسباب الإنتشار والإزدهار ، والشام سوق لهذا الأدب المصري بأكثر مما هي فيه لأهلها ، فلو سئل المثقف أو المتعلم في ديار الشام عن مصر وأدبائها وكتبها وعلمائها ، لأجاب بما يعجب ويما يطرب ، إذ أن أدب مصر يعيش في تلك الديار منذ ثلاثين عاما كما يعيش في حمى الأزهر وتحت قبة الجامعة ، وفي ندوات الثقافة المصرية ، غير أن مصر التي يجمل بها عتاب الحبيب لا تعرف من أدب الشام إلا القليل ، وكلتا الشقيقتين على حق فيما ترى بهذا الشأن .

ولعلي أتحدث قريبا عن فنون هذا الأدب مزوداً بذكر أعلامه وكتابه وأهل القصة والنقد فيه

وزار سكاكيني

ظهر كتاب

الفاروق عمر

للدكتور محمد حسين هيكل باشا

ثمن النسخة ٤٠٠ ربعمائة مليم

وللبريد ٨٣ مليم

الناشر

مكتبة النهضة المصرية

٩ شارع عدلي باشا — القاهرة

ت ٥١٣٩٤

صفحة حزينة . . . !

[إلى زوجتي الشابة المثقفة العليمة الحنون
شريكة حياتي ورفيقة دراساتي] .

الأستاذ عبد الرحمن صدقي

بعد أيام . . .

مماتك في الزمان أمسى مقاتلي
وفقديكِ من عيني مثيرٌ مشاكلي
وكنتِ الغِنى من مشكل بعد مشكل
وعقداتِ نفسٍ تستديم قلاقلي
مشاكل شتّى : حاجةُ النفس للهوى ،
وحاجةُ ذي حسٍّ ، وحاجة عاقل
جمعتِ لي الدنيا — فأغنيتِ معدمي ،
وأمتعتِ محروم ، وزينتِ عاطلي
أدور بعيني كالشريد بلا هوًى ولا منزلٍ مثلِ الهوى والمنازل
وما منزلي إلا الذي أنتِ ملؤُه وما من هوى إلاكِ بين العقائل
رأيت الغواني وهي لهوٌ ومظهرٌ وأنتِ مزاجٌ من جميلٍ وكامل
ورقة إحساسٍ ، وعفة لفظةٍ ولحظٍ وتفكيرٍ ، وحفل فضائل
تعزّيْتُ لو أني كغيري من الورى
وأنكِ أنثى كالنساء الحوامل
ولكنني نفسا وحسًّا مُعقّدٌ
وأنكِ طبٌّ للنفوس العلائل
أقول لدهري فيمَ ، فيمَ حرمتني ؟
وكل عزائي كان فيها ونائلي
أسائله في كل يوم وليلة ولن ينتهي مهما حييتُ تساؤلي
أراني مع الأيام تزداد لوعتي ، وعهدي بها للنقص في قول قائل
ويوحشني ، أني وحيد وأنني
مع الناس — أبغي الأنسَ في غير طائل
يزلزلني همي ، فأخرج هائما أسكّن في هذا الفضاء زلازلي
فأذهل أن ألقى السماء وضيئةً تَشِعُّ على الآفاق بسمة آمل
وأن تكسي الأشجار أنصرَ حضرة
ويرقصَ موجُ النيل رقصة جذل
بما تسخرُ الأقدار : موتٌ وأدمعٌ
وثمّةَ أنوارٌ وزهرٌ خمائل ؟ !
خيالك في التابوت أثلج بي دمي ،
وأحرق أعصابي ، وهدّ مفاصلي
وغيّض دمعي أن رأيتك جثةً
وجسمك معروق المُنَى والأسافل
ووجهك شمعٌ ذو شحوبٍ وصفرة
كرسمٍ عتيقٍ في التصاوير حائل
وشعرك غريبٌ ، وهُدبك أسودٌ
كذيل غُدافٍ حلك الريش ذائل
وما أنس لا أنسى جبينَك عاليا
قويا — على قيد الردى — غير ناكل
كأن الردى قد هاب ما في وطابه
من العلم عصريًّا وعلمَ الأوائل
وأذكر زوجي كيف كانت إلى مدًى
قريب ، وما اختُصّتْ به من شمائل
فينهلّ دمعي هامراً بعد حبةٍ
تَفجّرَ مُزنٍ حافل الضرع هاطل
وأعجبُ من شأن الحياة وسرّها وأعجب من شأنِ المنون العاجل
ويبلغ من فعل الزمان تعجّبي ، فأضحك كالفجوء من فعل هازل
هنا كان إنسانان : شطرٌ وصِنْوُهُ
سميدان في فيضٍ من العطف شامل
فقيمَ انصداعُ الشمل ، شطر على الثرى
وآخر من تحت الثرى والجنادل
لقد كان لي في الحب نحيا مضاعفٌ
وحبك — بعد البين — لا شك قاتلي

ذكرى

على الرغم مني أن خلا منكِ معهدُ
وأنكِ ذكرى كالصدى يتردد

١٢ ٥ ٢٤

وأنت التي كانت عميقا شعورُها
وتفكيرُها فهي الوجود المؤكّد
طواك الردى منذ بين يوم وليلة وأهنأ هذا الناس نحن وأسعد
وجِدُّ الردى هزلٌ، وأحكامه هوًى
ومنطقه فوضى القياسِ مفنّد
قضى أن تموتي حتفَ أنفك غصّة
وما أنت كُبرانا ولا أنتِ أرهد
وأن يتوافى نحويتك صحبُنا فيلقاهم في البيت أرملُ مُفرد
يصبّرني أهلي شجاهم تهالكي يقولون هذي أختها تتجلد
وما أختها؟ إني عدِمتُ قرينتي وأختي، ومن أرجو، ومن أتفقد
تسائلني أمي فحمّى: أين تقصد؟ فأفحم لا أدري، فيَسْوَى تشرُّد
وأغمض جفني حين تطرق مضجعي
ليُسكن روعَ الأم أنيَ أرقد
يُهيّج ما بي أن ألاقي معزّيا
وما بي — وإن طال المدى — ليس يخمد
وجانبتُ من لم يبلغ النّهي سمعَه حذارَ سؤالٍ عنك لا يُتعمّد
وأعدل عن هذا الطريق لغيره فقد طالما جُزناه نهوى ونقصد
وخير رفيقٍ أنتِ في كل رحلة وخير سمير للحديث ينضّد
ونجلس في حضن الطبيعة، صمتُنا مناجاتها — إن الطبيعة معبد
ونجلس للاسفار ندرسها معا
كأنّ ليس غير الكُتب في العيش مقصد
فلا درس إلا وهو عندك أرشد ولا لهو إلا وهو قربك أرغد
أمثلك لي خلٌّ كريمٌ موافق! أبعدك نعمى في الحياة وأسعد!
وهل متعة إلا عليها موكلٌ يحرّمها من ذكرياتك مُرصَد
بحبيّ أيام قلائل عشتُها بواحة روض حولها العمر فدفد
هنيهة أنسٍ، قبلها العيش صفحةٌ
بياضٌ وعيشي بعدها اليومَ أسود
ووالله لا أدري أدهري أذمّه
على قِتمرٍ فيها — ولا شيء مُخلَد؟
أوانيّ على ما خصّني فأذاقني
ولو طرفاً من ذلك الخلد أحمد؟
برغمي أن قد عاود الشعر مِقْوَلي
وأن كان في مرثاكِ منه التجدد
وقد كان يستعصي عليّ، فما له
كدمعي معينٌ سيلُه ليس يجمد!
تعجّب أصحابي وطال سؤالهم يقولون لي في كل يوم تقصّدُ
وما كان أغناهم عن القول لو درروا بأني طول الليل بقطان مُسهَدُ
وكنتِ عروسي في الحياة، فلا تَني
عروسَ قصيدي تلهمين وأُنشد

عبد الرحمن صدقي

كرسي مجلس النواب

للأستاذ محمد الأسمر

[نظم الشاعر هذه الأبيات للشبان النواب بمناسبة فوز أصدقائه الثلاثة: مصطفى بك أمين، علي أمين، كامل الشناوي في المعركة الانتخابية].

تهنئاتي: ثم كونوا عندما قلتمُ قبل دخول (المجلس)
واحذروا (الكرسي) كم مرّ به معشرٌ غيركم، ثم نسي
لا تكونوا فوقه مثل الذي يحضر (الجلسة) مثل الأخرس
أو كن يهتف للزور به فإذا الحق بدا لم ينبس
أو كن تصفيقه ثروته وهي عندي رأس مال المفلس
أو كن قيل له كن فوقه صنما، جئتَ لهذا فاجلس
أو كن يشتم قوما ظالما فهو يعوي كعواء الأطلس
أو كرهط فوقه سيماهم عدم الفهم، وهزء الأرؤس
أو كمن نام به ليس له من وجود فيه غير النفس
أو كمريان رآه متجراً فهو فيه قاعد كي يكتسي
بئس من أكرمه الله به فأبى إلا حياة التعس
يحمل الكرسي منه جثة أيها الكرسي لا تبتئس
هذه الدنيا حظوظ كلها وكذا حظك، فانظر وائتس

* * *

يا أزاهير الشباب المرتجى حققوا فيكم رجاء الأنفس
أنتمُ ضوء جديدٌ عمّه في غدٍ فجرٌ لهذا النّفس

محمد الأسمر

هذا العـــالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

عذاب الغيظ والحسرة

فى مدينة نيويورك رجل اسمه توم وعمره ، ٥٧ سنة . عاش منها ٤٨ سنة لم يبتلع طعاما ، ومع ذلك فهو يأكل أى طعام تشتهيه نفسه . سدت قناة الابتلاع (الزور) عنده وهو فى التاسعة من عمره إثر شربه لسائل ملتهب حرق الزور ولم يفد الطب فى علاجه فأغلق إلى الأبد . واضطر الجراح إلى فتح نافذة مستديرة قطرها بوصة وربع فى معدته ليتناول منها غذاءه

واندفعت أغشية المعدة من هذه الفتحة فكونت ثنية قطرها ثلاث بوصات . فان أراد أن يأكل رقد على ظهره وفك الأربطة عن وسطه ، وأزاح وسادة عن فتحة المعدة ، ثم يثبت فيها أنبوبة قصيرة من المطاط . وبعد ما يمضغ طعامه يضعه فى معدته عن طريق الأنبوبة . وبهذه الطريقة تناول مالا يقل عن ٣٠ الف وجبة طعام لم يشعر فيها بأية مضايقة .

مارس هذا الإنسان كثيراً من الألعاب الرياضية وهو غلام واشتغل فى عدة مهن يدوية ، فلم يلحظ زملاؤه شذوذه اذ كان يتمتع بصحة جيدة . إلى أن أكرهته ظروف العمل إلى الإشتغال فى حفر الخنادق فألهبت الحركة المستمرة أغشية المعدة المكشوفة حتى أدمتها واضطر إلى الالتجاء إلى أحد المستشفيات ، وهناك اكتشفه الطبيبان ولف ، فوجدا فيه حقل تجارب لن يسمح الزمان بمثله . ففى هذه المعدة المفتوحة يستطيعان أن يكشفا أسرار أمراض المعدة ، وأسرار التغذية ، وتأثر عملية الهضم بالانفعالات النفسية .

وتمكنا من إغرائه بالوظيفة الثابتة فى معملها ، وبما يؤديه للانسانية من خدمات ، فقبل منذ ست سنوات أن يعمل معهما . فاشتغل فى صباحه حقل تجارب ، وبعد الظهر كمحضر فى معمل مستشفى جامعة كورنل الطبية .

وفى مثل هذا الانسان تسهل دراسة الظواهر المعدية بانفاذ آلة مثل منظار الغواصة المزود بالضوء إلى داخل المعدة . ولهذا ظلت حياة هذا الإنسان طوال السنوات الست الماضية ممزجة بالتجارب الطبية . فانه أغنى الطبيب عن استعمال منظار المعدة الذى لايتيح فحص الإنسان العادى أكثر من عشر دقائق .

ومن أهم الدراسات التى أجريت عليه فحص العلاقة بين الانفعالات النفسية ومرض قرح المعدة . فبينما الطب يتقدم بخطوات واسعة فى دراساته فان عدد الإصابات بهذه القرح يزيد ، ويعتقد عدد كبير من الباحثين انه نتيجة للاجهاد العصبى والقلق فقدمت لهم معدة توم الدليل العلمى بأن القلق المتواصل ، والغضب ، والعداوة تكون إفرازات تؤدى إلى الإصابة بالقرح .

ويتفق أكثر الأطباء على أن هذا المرض نتيجة لزيادة الإفرازات الحمضية ، ويصف الطبيبان ولف تطوراته ، بأن الإنفعالات النفسية المتعلقة بالقلق أو الغضب تصحب بزيادة إفرازات الحوامض العادية وممها فيض من الدم مما يؤدى إلى غمر أغشية المعدة وتمددها . ويصحب هذه الانفعالات أيضا انقباض شديد فى المعدة .

وفى مثل هذه الحالات يسبب الاحتكاك البسيط بمواد الغذاء الصلبة تسلخات دموية رقيقة فى الأغشية يثيرها اتصالها بالسوائل الحمضية ، المعدية الغير العادية فتزداد الإفرازات الحمضية ، ويزداد غمرها بالدم وتمددها ، فتبدأ حلقة إصابة خطيرة فى المعدة ، فتتصل مادة البيبسين الهاضمة بأغشية المعدة الأصلية وتأكل جزءا منها فتسبب قرحة .

ولا تهضم المعدة نفسها أو تأكل أجزاءها لأنها مبطنة بغشاء مخاطى قلوى سميك يقى أغشيتها فلا تلمسها المواد الهاضمة . فإذا انغمس الإنسان فى الانفعالات النفسية القلقة فإنها تأكل نفسها بطول المدة مبتدئة بالقرح ، مما شاهده الطبيبان فى معدة توم ، فكانا يعرضانه لمختلف الانفعالات النفسية ، ويراقبان التغير الذى يطرأ على معدته ، ولكنه من الطبيعى أن توم لم يصب بقرح المعدة لأن فترة إقلاقه وانفعاله لم تكن طويلة بل كانت فترات قصيرة .

والأشخاص المرضون لهذه الإصابات هم ممن يجدون لذة فى الانفعالات وآلامها ، فيصرون على أن تكون رفيقتهم فى حلهم وترحالهم وفى عملهم وراحتهم .

ولم يؤثر تعاطى الكحول ولا التدخين أيا كانت نسبته على معدة توم ، لأن مخاط المعدة القلوى كان يقى أغشيتها من فعل حواسضهما . فإن تعرضت المعدة لحوامض قوية لا تكفى لتعادلها

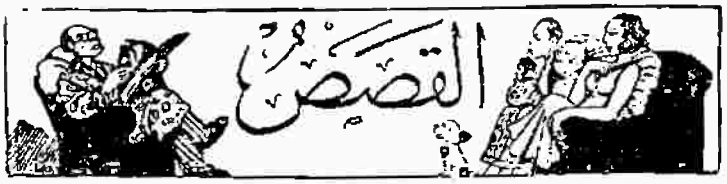

همس الجنـــون

للأستاذ نجيب محفوظ

ما الجنون ؟

إنه فيما يبدو حالة غامضة كالحياة وكالموت ، تستطيع أن تعرف الشيء الكثير عنها إذا أنت نظرت اليها من الخارج ، أما الباطن ، أما الجوهر ، فسر مغلق . وصاحبنا يعرف الآن انه نزل ضيفا بعض الوقت بالخامسة ، ويذكر — الآن أيضا — ماضي حياته كما يذكره العقلاء جميعا ، وكما يعرف حاضره . أما تلك الفترة القصيرة — قصيرة كانت والحمد لله — فيقف وعيه حيال ذكرياتها ذاهلا حائرا لا يدري من أمرها شيئا تطمئن اليه النفس . كانت رحلة إلى عالم اثيري عجيب ، ملىء بالضباب ، تتخايل لعينيه منه وجوه لا تتضح ملامحها ، كلما حاول أن يسلط عليها بصيصا من نور الذاكرة ولت هاربة وابتلعتها الظلمة . وتجلى لأذنيه منه أحيانا ما يشبه الهمهمة ، ما إن يرهف السمع ليميز مواقعها حتى تفر متراجعة تاركة صمتا وحيرة . ضاعت تلك الفترة السحرية بما حفلت من لذة وألم . حتى الذين عاصروا عهدها العجيب قد أسدلوا عليها ستاراً كثيفا من الصمت والتجاهل لحكمة لا تخفى . فاندثرت دون أن يتاح لها مؤرخ أمين يحدث بأعاجيبها . ترى كيف حدثت ؟ ! متى وقعت ؟ ! كيف أدرك الناس أن هذا العقل غدا شيئا غير العقل ؟ ؟ وأن صاحبه أمسى فرداً شاذاً يجب عزله بعيداً عن الناس كأنه الحيوان المفترس ؟ ؟

كان إنسانا هادئا أخص ما يوصف به الهدوء المطلق . ولعل ذلك ما حبب اليه الجمود والكسل . وزهده في الناس والنشاط . ولذلك عدل عن مرحلة التعلم في وقت باكر . وأبى أن يعمل عملا مكتفيا بدخل لا بأس به . وكانت لذته الكبرى أن يطمئن إلى مجلس منعزل من طوار القهوة ، فيشبك راحتيه على ركبتيه ، ويلبث ساعات متتابعات جامداً صامتا ، يشاهد الرائحين والغادين بطرف ناعس وجفنين ثقيلين . لا يمل ولا يتعب ولا يجزع . فعلى كرسيه من الطوار كانت حياته ولذته . ولم يكن وراء ذلك المظهر البليد الساكن حرارة أو حركة في قرارة النفس أو الخيال ، كان هدوءا شامل الظاهر والباطن ، الجسم والعقل ، الحواس والخيال . كان تمثالا من لحم ودم يلوح كأنما يشاهد الناس وهو يعزل عن الحياة جميعا .

قلويات المخاط ، فإن الأغشية تكون غطاء آخر يحفظها من الحوامض فإذا فشل هذا الغطاء في تأدية عمله لقوة الحوامض تكونت القرح وبدأت المعدة تأكل نفسها

وهكذا صدق تعبيرنا القائل أنه يأكل نفسه كمداً وحسرة .

يعيشون بدون معدة

أصبحت عملية إزالة المعدة أو جزء منها من المسائل العادية في الولايات المتحدة كما صرح بذلك الدكتور فرانزا انجلفنجر ، فانخفضت نسبة وفياتها في الحالات غير السرطانية من ١ إلى ٣ في المائة ، فان كانت لازالة سرطان المعدة انخفضت إلى ١٠٪ وحتى في حالة إزالة المعدة كلها فان المريض لا يتعرض للخطر من العملية بنسبة تعرضه للمرض الذي تزال المعدة من أجله .

وأثبتت الاحصاءات أن ٣٠٪ ممن تجرى عليهم هذه العمليات لا يستعيدون وزنهم العادي ومنهم ٣٪ يحسون بضعف ودوار وضغط إن أكلوا وجبات كبيرة . ولكن هذا الإحساس يزول بعد سنة من إجراء العملية فيتجنب المريض الوجبات الكبيرة ويستعيض عنها بست وجبات في اليوم . فإن من العوامل المهمة أن تلائم عمليات الهضم للحالة الجديدة .

ويستطيع المريض بعد استئصال معدته تناول أي طعام وتأدية أي مجهود . ولكنه لوحظ أن النشويات والسكر والزلاليات يسهل امتصاصها ، أما الدهنيات فتحدث بعض الاضطراب . وقد يصاب بعض المرضى بالأنيميا وإن كانت الحادة منها نادرة الحدوث .

فوزي الشتوي

ثم ماذا ؟

حدث في الماء الآسن حركة بريئة فجائية كأنما ألقي فيه بحجر.

كيف ؟ !

رأى يوما — إذ هو مطمئن إلى كرسيه على الطوار — عمالا يملأون الطريق — يرشون رملا أصفر فاقعا يسر الناظرين بين يدي موكب خطير . ولأول مرة في حياته يستثير دهشته شيء فيتساءل لماذا يرشون الرمل ... ثم قال لنفسه إنه يثور فيملأ الخياشيم ويؤذي الناس ، وهم أنفسهم يرجعون سراعا فيكنسونه ويلمونه ، فلماذا يرشونه إذا ؟ ! وربما كان الأمر أتفه من أن يوجب التساؤل أو الحيرة ، ولكن تساؤله بدا له كأخطر حقيقة في حياته وقتذاك . فخال أنه بصدد مسألة من مسائل الكون الكبرى . ووجد عملية الرش أولا والكنس أخيرا والأذى فيما بين هذا وذاك حيرة ، بل أحس ميلا إلى الضحك ، ونادرا ما كان يفعل . فضحك ضحكا متواصلا حتى دمعت عيناه . ولم يكن ضحكه هذا محض انفعال طارىء . فالواقع أنه كان نذير تغيير شامل ، خرج به من صمته الرهيب إلى حال جديد . ومضى يومه حائراً أو ضاحكا ، يحدث نفسه فيقول كالذاهل ، يرشون فيؤذون ثم يكنسون .. ها ها ها .

وفي صباح اليوم الثاني لم يكن أفاق من حيرته بعد . ووقف أمام المرآة يهيىء من شأنه . فوقعت عيناه على ربطة رقبته . وسرعان ما أدركته حيرة جديدة ، فتساءل لماذا يربط رقبته على هذا النحو ؟ ما فائدة هذه الربطة ؟ لماذا نشق على أنفسنا في اختيار لونها وانتقاء مادتها ؟ وما يدري إلا وهو يضحك كما ضحك بالأمس . وجعل يرنو إلى ربطة الرقبة بحيرة ودهشة . ومضى يقلب عينيه في أجزاء ملابسه جميعا بانكسار وغرابة . ما حكمة تكفين أنفسنا على هذا الحال المضحك ؟ لماذا لا نخلع هذه الثياب ونطرحها أرضا ؟ لماذا لا نبدو كما سوانا الله ؟ بيد أنه لم يتوقف عن ارتداء ملابسه حتى انتهى منها ، وغادر البيت كعادته ، ولم يعد يذوق هدوءه الكثيف الذي عاش في أهابه دهرا طويلا قانعا مطمئنا . كيف له بالهدوء والرمل لا يزال عالقا بأديم الأرض ! كيف له بالهدوء وهذه الثياب الثقيلة تأخذ بخناقه على رغمه ! أجل على رغمه ؛ وقد اجتاحته موجة غضب وهو يحث خطاه . وكبر عليه أن يرضى بقيد على رغمه . أليس الإنسان حرا ؟ !

وتفكر مليا ثم أجاب بحماسة ، بلى أنا حر ، وملأه بغتة الشعور بالحرية . وأضاء نور الحرية جوانب روحه حتى استخفه الطرب . أجل هو حر . نزلت عليه الحرية كالوحي فملأه يقينا لا سبيل إلى الشك فيه . إنه حر يفعل ما يشاء كيف شاء حين شاء غير مذعن لقوة أو خاضع لعلة . لسبب خارجي أو باعث باطني حل مسألة الإرادة في ثانية واحدة . وأنقذها بحماسة فائقة من وطأة الملل . وداخله شعور بالسعادة والتفوق عجيب . فالقى نظرة ازدراء على الخلق الذين يضربون في جوانب السبل مصفدين لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا . إذا ساروا لم يملكوا أن يقفوا . وإذا وقفوا لم يملكوا أن يسيروا . أما هو فيسير إذا أراد ، ويقف حين يريد . مزدريا كل قوة أو قانون أو غريزة . وأهاب به شعوره الباهر أن يجرب قوته الخارقة فلم يستطع أن يعرض عن نداء الحرية . توقف مسيره بغتة وهو يقول لنفسه « هأنذا أقف لغير مسبب » ونظر فيما حوله ثوانى ثم تساءل : أيستطيع أن يدفع يديه إلى رأسه ؟ أجل يستطيع . وها هو ذا يرفع يديه غير مكترث لأحد من الناس . ثم تساءل مرة أخرى هل تواتيه الشجاعة على أن يقف على قدم واحدة ؟

وقال لنفسه نعم أستطيع وما عسى أن يعتاق حريتي ؟ وراح يرفع يسراه كأنه يقوم بحركة رياضية في أناة وعدم مبالاة كأنه وحده في الطريق بلا رقيب . وغمرت فؤاده طمأنينة سعيدة وملأته ثقة بالنفس لا حد لها . فمضى يتأسف على ما فاته — طوال عمره — من فرص كانت حرية بأن تمتعه بحريته وتسعده بحياته . واستأنف مسيره وكأنه يستقبل الحياة من جديد .

ومر في طريقه إلى القهوة بمطعم كان يتناول به عشاءه في بعض الأحايين . فرأى على طاوله مائدة ملأى بما لذ وطاب . يجلس إليها رجل وامرأة متقابلين يأكلان مريئا ويشربان هنيئا . وعلى بعد يسير جلس جماعة من غلمان السبيل ، عرايا إلا من أسمال بالية تغشى وجوههم وبشرتهم طبقة غليظة من غبار وقذارة . فلم يرتح لما بين المنظرين من تنافر . وشاركته حريته عدم ارتياحه

فات عليه أن يمر بالمطعم مر الكرام . ولكن ما عسى أن يصنع ؟ قال له فؤاده بعزم ويقين «ينبغي أن يأكل الغلمان مع الآخرين» . ولكن الآكلين لا يتنازلان عن شيء من هذه الدجاجة التي أمامهما بسلام ؟ هذا حق لاريب فيه . أما إذا رمى بها إلى الأرض فتلوثت بالتراب فما من قوة تستطيع أن تحرمها الغلمان . فهل ثمة مانع يمنعه من تحقيق رغبته ؟.. هيهات ربما كان التردد ممكنا في زمن مضى ، أما الآن ... واقترب من المائدة بهدوء ! ومد يده إلى الطبق فتناول الدجاجة ثم رمى بها عند أقدام المرايا . وتحول عن المائدة وسار إلى حال سبيله كأنما لم يأت أمراً نكرا ، غير عابئ بالرئير الذي يلاحقه مفعما بأقذع السباب والشتائم . بل غلبه الضحك على أمره ، فاسترسل ضاحكا حتى دمعت عيناه . وتنهد بارتياح من الأعماق ، وعاوده شعوره العميق بالطمأنينة والثقة والسعادة .

وبلغ القهوة فمضى إلى كرسيه واطمأن إليه كعادته . بيد أنه لم يستطع هذه المرة أن يشبك راحتيه حول ركبته ويستسلم لسكونه المعهود . لم تطاوعه نفسه ، فقد فقدت قدرتها على الجمود . أو برئت من عجزها عن الحركة . فنبا به مجلسه ، حتى هم بالنهوض . إلا أنه رأى — في تلك اللحظة — شخصا غير غريب عن ناظريه وإن لم تصله به أسباب التعارف . كان من رواد القهوة مثله . وكان جسما ضخما وأوداجا منتفخة ، يسير مرفوع الرأس في خيلاء ، ملقيا على ما حوله نظرة ترفع وازدراء ، تنطق كل حركة من حركاته ، وكل سكنة من سكناته بالزهو والكبر كأنما يثير الخلق في نفسه ما تثيره الديدان في نفس رقيقة مرهفة الحس . وكأنه يراه لأول مرة ، بدا له قبحه وشذوذه عاريا . فغالبته هذه الضحكة الغريبة التي ما انفكت هذين اليومين تعابثه . ولم تفارقه عيناه . وثبتت خاصة على قفاه يبرز من البنيقة عريضا ممتلئا مغريا . وتساءل أيتركه يمر بسلام !.. معاذ الله ، لقد ألف داعي الحرية . وعاهده ألا يخالف له أمرا . وهز منكبيه استهانة . واقترب من الرجل فكاد يلاصقه . ورفع يده وأهوى بكفه على القفا بكل ما أوتي من قوة فرنت الصفعة رنينا عاليا . ولم يتمالك نفسه فأغرب ضاحكا . ولكن لم تنته هذه التجربة بسلام كأختها السابقة . فالتفت إليه بل نحوه في غضب جنوني ، وأمسك بتلابيبه وانهال عليه ضربا وركلا ، حتى خلص بينهما بعض الجلوس . وفارق القهوة لاهثا . ومن عجب أنه لم يستشعر الغضب ولا الندم . وعلى العكس من ذلك ألمت بحواسه لذة عجيبة لا عهد له بها من قبل . وافتر ثغره عن ابتسامة لا تزايله . وفاضت نفسه بحيوية وسرور يغشيان أي ألم ، لم يعد يكترث لشيء غير حريته التي فاز بها في لحظة سعيدة من الزمان وأبى أن يغيب عنها ثانية واحدة من حياته . ومن ثم ألقى بنفسه في تيار زاخر من التجارب الخطيرة بإرادة لا تثنى وقوة لا تقهر . صفع أقنية وبصق في وجوه وركل بطونا وظهورا . ولم ينج في كل حال من اللكمات والسباب . فخطمت نظارته ومزق زر طربوشه ، وتهتك قميصه وانفضت ثنياته . ولكنه لا ارتدع ولا ازدجر ولا انثنى عن سبيله المحفوف بالمخاطر ، ولا فارق الابتسام شفتيه ولا خمدت نشوة فؤاده الثمل ، ولو اعترض الموت طريقه لاقتحمه غير هياب .

ولما آذنت الشمس بالغيب عثرت عيناه المتجولتان بحسناء مقبلة متأبطة ذراع رجل أنيق المنظر ترفل في ثوب رقيق شفاف . تكاد حلمة ثديها تثقب أعلى فستانها الحريري . وجذب صدرها الناهد عينيه فزادتا اتساعا ودهشة . وهاله المنظر ، وكانت تقترب خطوة فخطوة حتى باتت على قيد ذراع وكان عقله — أو جنونه — يفكر بسرعة خيالية . فخطر له أن يغمز هذه الجملة الشاردة . إن رجلا ما يفعل ذلك على أية حال فليكن هذا الرجل . واعترض سبيلهما ومد يده بسرعة البرق وقرص . آه . لقد انهالت عليه اللطمات واللكمات . وأحاط به كثيرون ولكنهم في النهاية تركوه ، لعل ضحكته الجنونية أخافتهم . ولعل نظرة عينيه المحملقتين أفزعتهم ، تركوه على أية حال ، ونجا ولم تكد تزداد حالته سوءاً . وكان لا يزال به طموح إلى مزيد من المغامرات . ولكن لاحت منه نظرة إلى ملابسه فهاله ما يرى من تمزقها وتهتكها . وبدلا من أن يأسى على نفسه راح يذكر ما دار بخلده صباح اليوم أمام المرآة ، فلاحت في عينيه نظرة غامة ، وعاد يتساءل : لماذا يدع نفسه سجينا في هذه اللفائف تشد على صدره وبطنه وساقيه ، وناء بثقلها ، وشمر لوطأتها باختناق . فغلت مراجله ولم يستطع معها صبرا . وأخذت يداه تمزعانها قطعة قطعة ، بلا تمهل ولا إبطاء ، حتى تخلص منها جميعا ، فبدا عاريا كما خلقه الله . وعابثته ضحكته الغريبة ، فقهقه ضاحكا واندفع في سبيله ....

نجيب محفوظ

بين صديقين

[اشتد بصديقنا الأديب الفاضل الأستاذ عبد الرحمن صدقي مصابه الأليم بزوجته المبدعة فنظم في رثائها قصيدتين من أبلغ الرثاء ، وأرسلهما إلى صديقه الأستاذ الجليل الفقاد ومعهما هذان البيتان]:

أخي ، منـــذ أعوام مضين ذكرتني
وهنأت زوجي بالهـوى ، وهنأتني
لقـد ذهبت تلك السنون سريعة
وهذي مراثي زوجتي اليوم ، فارثني

فأجابه الأستاذ بهذه الأبيات :

أخي ! ما عزائي أن أهوّن فاجعا
أراه — وإن لم أبله — غير هيّن
ولكنّ عزائي هـذه الحرب زلزلت
قلوب بني حـــواء في كل مأمن
ولكن عزائي هـذه الأرض علّمت
بنيها هـوان العيش عـــلم التيقّن
قضاء علينا في الحيـــاة فراقنا
لأحبابنـا حيث التقينا بمـــوطن
فجيعتنا فيمـــن نحب بديلُها
فجيعتهم فينا ، ومن يبـــق يغبن
فـــلا ترض للاحباب غبنا يؤودهم
وليس الرضا في الحـــالتين بممكن
ألا هـان عيش لا يزال خيـــاره
لئن يرتجيه شاكيا : متّ أو احزن

***

أخي ! هـذه الدنيا وهذا عزاؤها ،
فصاراه — بعد الجهد — تسليم مذعن
وما أحسن الإيمـــان إلا حقيقة
فلاصـــبر فيما لامرئ غير مؤمن

شرح لامية العجم ، ما اسمه؟

شرح لامية العجم لصلاح الصفدي ، مصنف كبير ، مكتنز بالفوائد — أظهرته مطبعة بولاق مسمية إياه هذا الاسم :

(الغيث المسجم في شرح لامية العجم)

وهو مستند حين ذكرته فيما رويته عن سماه — أعني شرح اللامية — في (نقل الأديب) ، وفي خطبتي أو مقالتي في (أبي العلاء المعري) ، وقد أرشدني العلامة الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة الغراء إلى كتاب اسمه (سحر العيون) من مؤلفات القرن التاسع ، وهداني إلى هـذه الفائدة الآتية فيه .

« ... عابوا على الشيخ صلاح الدين الصفدي (رحمه الله) في تسميته كتابه بـ (الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم) وقد مزق جلده الشيخ بدر الدين الدماميني في كتاب عمله عليه وسماه نزول الغيث ... »

فهل بدل الصلاح اسم كتابه من بعد ذلك النقد وتمزيق الجلد ... — وإني لأستبعد ذلك — أم بدله الناسخون والطابعون .

محمد إسعاف النشاشيبي

من ناظر إلى فراشه [1]

عزيزي أحمد حسين

لك جزيل شكري على كتابك الذي تسلمته الساعة ، وما يبعث كتاب في قلبي من دواعي السرور أكثر مما تبعثه كتبك التي تصلني في نظام أول كل عام . وإنه لعجيب بعد تلك الأعوام الطويلة التي مرت منذ أن تعارفنا وهي الآن خمسة وعشرون أن

(١) أنظر صفحة (من وراء المنظار) في هذا العدد

تظل محتفظا نحوى ونحو أسرتى بذكريات مودة وصداقة ، وأن تتعب نفسك على هذا النحو بالكتابة معبراً عنها . وإنى لشكور حقاً ولا أزال أتلو كتبك مرة ومرة فى سرور بالغ . ولاينقصنى إلا أن نلتقى كما كنا نفعل فى الأيام الماضية فأصافحك ، ولكن هذا بالضرورة مستحيل فليس لدى إلا أن أصافحك بكتابى وهذا ما أفعله الآن ... وكذلك أصافح ذلك الشيخ الكبير عزيزى الحاج عبد القادر ، وكم تتوق نفسى إلى رؤية ذلك الرجل الطيب العجوز : وأكبر ظنى أنه قد علت به السن جداً الآن كما علت بى . ولكن من دواعى الغبطة الشديدة أنه لا يزال حياً وأنك لا تزال على صلة به ولو أنك لا تراه ؛ وأنك تبلغه رسالاتى التى أبعثها إليه عن طريقك . بلغه أنى كثيراً ما أذكره كلما أذكرك وأذكر جميع الأخيار من الأصدقاء الذين عاشرتهم بالمدرسة التوفيقية فى تلك الأيام الطيبة الخالية . ولقد رغبت إلى زوجى أن أقول لك إنها كذلك لا تزال تذكركم جميعاً فى عطف ومودة وأنها جد فرحة بأنك لم تنسها .

وبعد فأنى أسرد عليك شيئا عن حال أسرتى كما طلبت ، وعلى الأخص حال ولدى ؛ إنهما والحمد لله بخير ، وإننا فى أيام الحرب هذه لنشكر الله على أنهما لا يزالان كذلك . وإنه ليؤسفنى أنك كنت غائبا حينما زار أصغر الأخوين المدرسة التوفيقية سائلا عنك وكذلك يشعر هو بالأسف ؛ ولم يكن لديه متسع ليعاود الزيارة كما ذكرت أنت مع أنه رغب فى ذلك ؛ كان جيمس أصغرهما هو الذى زار المدرسة لا وليم ؛ وهو الآن « ليفتنانت كيرنل » فى فرقة المدفعية وهو يحارب على رأس رجاله فى جبال إيطاليا . ولقد كان وليم على مقربة من القاهرة حديثا إذ كان يصحب مستر ونستون تشرشل أثناء المؤتمر الذى عقد فى ديسمبر الماضى فى مينا هوس ؛ ولم يكن ليستطيع أن يغيب طرفة عين عن مكانه قرب الأهرام ، وعلى ذلك فلم يتمكن من زيارة المدرسة كما كان يحب أن يفعل . ولقد رقى الآن إلى مرتبة نائب مارشال الطيران وسيذهب لقيادة قوة الطيران الملكية فى جبل طارق وهو عمل شائق يتطلع إليه فى شغف ؛ وقد يكون ممكنا أن يطير من جبل طارق يوما ما إلى القاهرة ، فأذا تم ذلك فمن المؤكد أنه يحب أن يراك وإنه لذلك سيزور المدرسة ، وآمل أن تكون وقتئذ حاضراً ؛ ولكنى لاأستطيع طبعا أن أذكر متى يفعل ذلك إن كان ثمة ذلك فى طوقه . ولوليم الآن طفلان هما حفيداى الحبيبان ، بنت فى السادسة وصبى فى الرابعة ، ولقد قضيا هنا عندنا أسبوعين ؛ وكان جميلا أن تراهما وعلى الأخص ذلك الصبى فقد ولد فى بدء الحرب ولم تره قبل اليوم أبداً ؛ وهو ولد جميل قوى البنية لن يتعب من اللعب ، ولذلك ترانى أتعب قبل أن يتعب هو إذا لعبنا معا ولما تنته اللعبة ؛ فأن جسمه الصغير أكبر قوة من جسمى الذى هده الكبر .

ليست زوجى على خير ما أحب لها من العافية ؛ أما أنا فعلى خير ما أرجو إذا ذكرت إنى أدلف إلى الثمانين من عمرى ؛ فلا زلت أستطيع أن أصعد فى تل قريب حيث أطل منه على منظر بهيج ، وإن كنت بالضرورة لا أستطيع أن أفعل ذلك فى مثل ما كنت عليه سالفاً من السرعة ، كما أنى لاأبلغ من التل ما كنت أبلغه من قبل .

أشكرك ثانياً على كتابك الكريم وما جاء فيه من عبارات طيبة ، وأرسل إليك أطيب تمنياتى وتشاركنى فى ذلك زوجتى ؛ كما نرسل حبنا ومودتنا لكل من لا يزال يذكرنا . وبخاصة أنت والحاج عبد القادر العزيز .

المخلص

ج . إلبوت

تصويب ! ! !

ورد فى مقال الدكتور البهى فى العدد ٦٠٦ من الرسالة قوله : « ولا نبعد عن الصواب إذا حكمنا على بعض علماء الدين بأنهم لم يفهموا الإسلام إذا جعلوا من قوله تعالى « وأطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم » والصواب : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » .

(كلية اللغة) عبد الفضيل يوسف رجب

اطبعوا مطبوعاتكم في

مطبعة الرسالة

حيث تجدون فيها

الدقة ، والسرعة

والنظافة ، والذوق

واعتدال الأسعار

المنطـــق

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

لى صديق من أفاضل العلماء يحب أن يجادلنى على الدوام ، فنلعب بالمعانى والكلام ؛ ومن أساليب جداله قوله «أين المنطق» ؟

ومررت منذ أيام بدار الرسالة فأعطانى الأستاذ الزيات كتابا فى المنطق صدر أخيرا. لأكتب عنه . فرحبت بالفكرة ، وقلت فى بالى سأستفيد من هذا الكتاب الحديث فهو آخر ما صدر فى هذه الأعوام ، ومؤلفه من العلماء المعروفين ، وأستطيع بعد ذلك أن أقنع صديقى الفاضل بأسلوب جديد فى المنطق ، وأعرّفه ما هو ، وأدفعه إلى الاقتناع بالحجة والبرهان :

مؤلف الكتاب الدكتور « جميل صليبا » عضو المجمع العلمى العربى ، وعنوانه : « دروس الفلسفة — الجزء الثانى — المنطق » طبع بمطبعة الترقى بدمشق عام ١٩٤٤ . ويقع فى ٤٤٠ صفحة من القطع الكبير . أما الجزء الأول من دروس الفلسفة فهو علم النفس طبع عام ١٩٤٠ .

وللمؤلف كتب أخرى عن ابن سينا ، وكتاب من أفلاطون إلى ابن سينا ، وكتب فلسفية نشرها وعلق عليها ، مثل : المنقذ من الضلال للغزالى وابن الطفيل .

ولكنى لم أكد أشرع فى قراءة كتاب المنطق حتى تبين لى أنى كنت مسرفا فى الأمل والتفاؤل ، لأننى لم أعثر على جديد معروف ، وعلى العكس صادفتنى أخطاء كثيرة كان ينبغى أن ينجو منها كتاب فى المنطق ، المفروض فيه أنه يعلمنا كيف نأمن الزلل ونتبع سبيل الصواب .

ونعرض لأول . مسألة قررها المؤلف وهى تعريف المنطق . قال : « فيمكننا أن نعرف المنطق بقولنا : هو علم صور العلوم ، أو علم العلوم ، أو العلم الذى يبحث فى صحيح الفكر أو فاسده ، أو كما قال فلاسفة البور رويال : فن التفكير »[1] .

وليس فى هذه التعاريف المختلفة تعريف واحد صحيح .

التعريف الأول هو علم صور العلوم ، ليس صحيحاً لأن المنطق منه الصورى والمادى ، والمنطق الصورى لا يتصل بالعلوم بل بالفكر نفسه . وأكبر الظن أن المؤلف أخطأ فى ترجمة التعريف المتفق عليه بين العلماء الآن ، وهو أن المنطق علم صور التفكير La Science des formes de la pensée[2] . وقال ليارد فى نفس الصفحة « إن موضوع المنطق تقرير قوانين التفكير فى ذاتها بصرف النظر عن الموضوعات التى تنطبق عليها ، ثم بيان الطرق المختلفة لتطبيق هذه القوانين ، وهذا هو الموضوع المزدوج للمنطق » .

ويقول الأستاذ جميل صليبا عند الكلام عن موضوع المنطق إنه : «البحث عن العمليات الفكرية والشرائط النظرية التى يتوقف عليها التفكير الصحيح » . والبحث عن العمليات الفكرية من خصائص علم النفس لا علم المنطق الذى يبحث عن قوانين الفكر الصورية ، لا عن عملية التفكير كيف تقع فى الذهن . ويخيل إلينا أن هـــذا اللبس ناشىء عن ترجمة المصطلحات عن اللغة الأجنبية ، وسنعرض لهذا الموضوع أى الاصطلاحات التى وردت فى هـذا الكتاب فى مقال آخر . والعمليات الفكرية هى Processus أما قوانين الفكر فهى Lois .

والتعريف الثانى علم العلوم ، لا يفيد شيئا ، فهو كقولك الأسد ملك الحيوان . ولماذا يكون المنطق علم العلوم ؟ لماذا لا تكون الرياضة مثلا ؟

والتعريف الثالث « العلم الذى يبحث فى صحيح الفكر أو فاسده » . ولعل صوابها وفاسده بدلا من أو فاسده ، إذ أن المنطق يبحث فى الصحيح والفاسد على السواء لبيان وجه الصواب منهما .

---

١) الكتاب المذكور ص ٩

٢) من كتاب Liard, Logique

والبحث فى الصحيح والفاسد فى الفكر ثمرة من ثمار المنطق تأتى بعد تطبيقه ، أو هى غاية من غاياته ، ولا تدخل فى تعريفه أو ماهيته .

ولعل المؤلف قد تأثر بالتعاريف التى أوردها العرب فى كتبهم ولم يعلق بمناقشتها . لهذا نذكر بعض تعريفات العرب للمنطق ثم نذكر ملاحظاتنا عنها .

قال صاحب البصائر النصيرية « فاذا انقسمت الاعتقادات الحاصلة للأكثر فى مبدإ الأمر إلى حق وباطل ، وتصرفتهم فيها إلى صحيح وفاسد ، دعت الحاجة إلى إعداد قانون صناعى عاصم للذهن عن الزلل ، مميز لصواب الرأى عن الخطأ فى العقائد ، بحيث تتوافق العقول السليمة على صحته . وهذا هو المنطق » .

وجاء فى لباب الإشارات لابن سينا شرح الرازى « الفكر ترتيب أمور معلومة ليتأدى منها إلى أن يصير المجهول معلوماً ، وذلك الترتيب قد يكون صوابا وقد لا يكون ، والتمييز بينهما ليس ببديهى ، فلا بد من قانون يفيد ذلك التمييز ، وهو المنطق » .

ويعرف الفارابى المنطق فى كتابه إحصاء العلوم : « فصناعة المنطق تعطى جملة القوانين التى شأنها أن تقوم العقل ، وتسدد الإنسان نحو طريق الصواب ، ونحو الحق فى كل ما يمكن أن يغلط فيه من المعقولات ، والقوانين التى تحفظه وتحوطه من الخطأ والزلل والغلط فى المعقولات » .

ونلاحظ على التعاريف أنها تجعل المنطق ميزانا للتمييز بين الصحيح والفاسد من الفكر وتجنب الزلل .

ونلاحظ ثانيا أنها تجعل المنطق آلة لغيره من العلوم .

وكلا الإتجاهين لا يجعل المنطق علما بل فنا .

قال صاحب الرسالة الشمسية « المنطق آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ فى الفكر » وعلق القطب الرازى على هذا التعريف بقوله : « والآلية للمنطق ليست له فى نفسه ، بل بالقياس إلى غيره من العلوم الحكمية ، ولأنه تعريف بالغاية ... » والناطقة فى أوربا فى عصر النهضة وما بعده أخذوا بوجهة نظر العرب وجعلوا المنطق فنا لا علما . والكتاب الصادر عن بور رويال [1] Port Royl عنوانه « المنطق أو فن التفكير » وهذا واضح الدلالة فى التصريح بأن المنطق فن وليس علما .

ولكن الناطقة المحدثين نظروا إلى قوانين الفكر فى ذاتها ، دون نظر إلى فائدتها فى كشف العلوم ، أو قيمتها فى التمييز بين الحق والباطل والصواب والخطأ ، ولهذا كان المنطق علما، وألحقوه بالعلوم ، وعرفوه بأنه العلم الذى يبحث فى قوانين الفكر أو صور التفكير .

وهذا يبين فساد التعريف الرابع الذى أورده المؤلف وهو أن المنطق فن التفكير .

دكتور

أحمد فؤاد الأهوانى

---

(١) بور رويال دير فى فرنسا فى مقاطعة السين ، سكن فيه كثير من العلماء والفلاسفة مثل بكال وغيره وألفوا كثيرا من الكتب العلمية والفلسفية ، واهتم فلاسفته بالمنطق ، وألفوا فيه الكتاب المذكور ، وهو مشهور ، ويقال أيضا منطق بور رويال .

صديقى القارئ

الكتب الآتية

ضرورية لثقافة فكرك ولسانك

تاريخ الأدب العربى: للأستاذ أحمد حسن الزيات

آلام فرتر : الشاعر الفيلسوف « جوته »

رفائيل : لشاعر الحب والجمال «لوسرتين»

اطلبها من إدارة « الرسالة »

ومن المكاتب الشهيرة

أساطير الحب والجمال
عند الإغريق

بقلم الأستاذ

دريني خشبة

ثمنه ٣٠ قرشا عدا أجرة البريد، ويطلب من مجلة الرسالة

١٧٤ مدينـــة

هـــذا هو الرقم الذى يرشـــدك إلى أفضل وأرخص
وأقصر طريق لإشهار إسمـــك وعملك . . . . . .

أطلب اليوم ١٧٤ مدينة

وبادر بزيارة قسم النشر والإعلانات

بمصلحة سكك حديد الحكومة المصرية

بالإدارة العامة فوق محطة مصر

لتعرف كيف يتسع عملك ويزداد دخلك وتكسب كل يوم آلافا من العملاء . . . ! !

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

الرسالة والرواية

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الفهرس

صفحه

١٨٥ المجامع اللغوية ... ... : لصاحب العزة أنطون الجميل بك

١٩٠ أبو العلاء المعرى ... ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

١٩٤ المذاهب الأدبية ... ... : الدكتور محمد مندور ... ...

١٩٦ المسألة الأفغوانية ... ... : الأستاذ عبد المنعم خلاف ...

١٩٨ صور جاهلية ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ...

١٩٩ القضايا الكبرى فى الإسلام ... ... : الأستاذ عبد المتعال الصعيدى

٢٠٢ الفن ... ... : بقلم الدكتور محمد بهجت

٢٠٥ الحرب والعلم ... ... (قصيدة) : الأستاذ محمود عماد ... ...

٢٠٧ هذا العالم المتغير ... ... : الأستاذ فوزى الشتوى ...

٢٠٩ المجنونة ... ... (قصة) : بقلم الأديب ابراهيم خليل

٢١٠ محمد عبده ... ... (كتاب) : الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

٢١٢ هذه الشجرة ... ... » : الأستاذ محمد عبد الحليم أبو زيد

محمود تيمور

رائد القصة العربية

تأليف نزيه الحكيم

دراسة تحليلية للاتجاهات الأدبية الحديثة

في آثار القاص المصري

محمود تيمور

يطلب من مكتبة النهضة المصرية شارع عدلي بالقاهرة ،،وكذلك من مكتبة مصر ٦٣ شارع الفجالة بالقاهرة

وثمن النسخة عشرة قروش

ظهر المجلد الثاني من كتاب :

وحي الرسالة

بقلم

احمد حسن الزيات

وهو مجموعة مستخرجة من أدب الاجتماع والنقد والحب والسياسة

يطلب من إدارة الرسالة ومن سائر المكاتب الشهيرة

وثمنه أربعون قرشا غير أجرة البريد